جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الإنسانية والإجتماعية
شعبة: العلوم الإسلامية

سورة الجاثية

دراسة تحليلية وموضوعية

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماسترفي العلوم الإسلامية–تخصص التفسير وعلوم القرآن–

إعداد الطالب:
جمال الدّين حوامدي

إشراف الأستاذ:
مصباح موساوي

الاسم واللقب	الرّتبة	الصّفة
أ-علي خضرة	أستاذ مساعد	رئيساً
أ-مصباح موساوي	أستاذ مساعد	مقرراً
أ-محمد الصالح غريسي	أستاذ مساعد	مناقشاً

الموسم الجامعي :1436/1435هـ– 2014م/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعرفان

الحمد لله وحده والصّلاة والسّلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن تبعه أمّا بعد:

أتقدم بخالص الشكر والتقدير والاحترام إلى أستاذنا ومشرفنا ***مصباح موساوي*** الذي أفادني بنصائحه الثمينة و آرائه القيمة، سائلين الله أن يبارك في علمه ويجزيه عنّا خير الجزّاء.

كما لا يفوتني أنّ أعبر عن بالغ شكري وعرفاني لكلّ أستاذ رافقني في مسيرتي الدّراسية وكلّ من ساعدني في إنجاز هذا العمل.

وختاما أسأل الله أن يتقبل منّي هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، والحمّد لله ربّ العالمين.

أبوعبد الله جمال الدّين

الإهـــداء

إلى أمي الغالية وأبي الفاضل، اللذين لم يبخلا عليّ بأعزّ ماعندهما، إلى رفيقة دربي زوجتي الحبيبة التي تحملتني طيلة هذه المدّة، إلى إخوتي وأخواتي وجدتي بارك الله فيهم جميعاً، إلى الإخوة والأخوات الأحباء، وإلى كامل الأقارب والزملاء

إلى من علموني وربوني وأناروا لي طريق العلم والعطاء

وإليك أيّها القارئ الكريم هذا البحث المتواضع

أبوعبد الله جمال الدّين

ملخص البحث باللغة العربية

من خلال الدراسة التحليلية لسورة الجاثية، ومن خلال التفاسير الموضوعية لسور القرآن، ترجّح لدي أنّ محور موضوعها يدور على تأكيد وترسيخ الإيمان بحقيقة البعث وأنّ يوم القيامة آتي لاشك فيه وذلك لأنّه لايتحقق إيمان الفرد إلاّ بإيمانه باليوم الآخر، ومن خلال العرض الموضوعي للسّورة؛ التي ابتدأت بإثبات وحدانية الله من خلال الآيات الكونية والوعيد بمن كذّب يوم القيامة، ومن ثمّ الرّد على الدّهريين الذين ينكرون مابعد الحياة الدنيا من بعث وحساب والتّعرض في آخر السّورة لمشاهد من يوم القيامة. و هذا إضافة لاسم السّورة "الجاثية"ذو دلالة بهول يوم القيامة، حيث تجثو الأمم على الرّكب من شدّة ذلك الموقف وكذلك اسمها الإجتهادي "سورة الدّهر" الذي ذكره الألوسي وابن عاشور يدل بوضوح على دحض من يرى بهذا الإعتقاد.

وهذا يثبت إدعائنا إذا تتبعنا السّورة من أولها سنجد أنّها ابتدأت بالحديث عن الآيات الكونية والآيات القرآنية ثمّ اتباعها بالوعيد الشّديد في يوم القيامة للمكذبين بها؛ تارة بالويل وأخرى بالعذاب الأليم ثمّ المهين ومن بعده العظيم وكذلك بالرّجز الأليم، وعندما تحدّث الله عن الذين ءامنوا ذكّرهم بيوم الرّجوع إلى الله، ويستمر السياق في تأكيد هذه الحقيقة ليتعرض الله لنعمته على بني اسرائيل وختم بأنّه سيقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، ثمّ أكّد الله أنّه ليس الذي اجترح السيئات كالذي ءامن في الميزان سواء يوم القيامة وأكدت السّورة كذلك أنّ كلّ نفس ستجزى بما كسبت يوم القيامة، ثمّ تعرّض الله لفئة تدّعي أنّ لاحياة إلاّ هذه ثمّ يفنيهم الدّهر، وأكّد الله على عكس اعتقادهم وأنّه هناك يوم يجمع فيه الخلائق للجزاء على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى، ومن أساء فالجزّاء من جنس العمل.

وخلاصة تتبعنا لآيات السّورة نجد أنّ المحور والهدف الأساسي الذي تدور حوله سورة الجاثية في كلّ مرّة يؤكد على حقيقة موضوع ترسيخ الإيمان بيوم ستجثوا فيه الخلائق على الرّكب من شدّة هوله وهو يوم القيامة. وهذا مايجعلنا نؤكد على أنّه المحور الذي الآية بعد الآية ويرجع سياق السّورة يؤكد عليه إمّا تلميحا وإمّا تصريحا وما أكثره في هذه السّورة والله تعالى أعلى وأعلم.

abstract

Through the analytical study of the Al Jaathiyah, and through objective interpretations of the verses of the Qur'an, it suggests to me that the focus of the theme is going to confirm and strengthen the faith of the fact the Baath and the Day of Judgment will come no doubt because it does not take place the individual's faith, but faith in the Last Day, and through objective presentation of Surat; which began proof of the oneness of God through the verses and intimidation including cosmic lie the Day of Resurrection, and then respond to Aldahryan who deny the post-life of the account and sent in another Sura exposure to scenes of the Day of Resurrection. This is in addition to the name of the sura "Jaathiyah" indicate Bhool the Day of Resurrection, where the United bow on the knees of the severity of that position as well as its name discretionary "Al-age" mentioned by al-Alusi and Ben Achour clearly demonstrates refute see from this belief.

This proves our claim if we follow the sura from the beginning, we will find that they began talking about the verses cosmic and Quranic verses and then followed severe Baloaid in the Day of Judgment the deniers out; sometimes doom and other tortured painful and humiliating, and the great beyond, as well as Balrdz painful, and when God spoke of those who believe, mentioned the Day of Return to God, the context and continue to confirm this fact of being God for his grace on the children of Israel, and seal that will kill them on the Day of Resurrection concerning that wherein they differ, then God confirmed that he is not who Ajtrah disadvantages like the one Ouamn in the balance whether the Day of Resurrection and confirmed as well as the sura that all the same Stdzy including earned Day of Resurrection, Allah then subjected to a class called that, but this is commemorated by then consume them forever, and God confirmed Unlike their belief and that there was a day when the creatures combines the penalty for their actions, it is the best he may Beautiful, and offended Valjza of sex work.

In summary, we look at the verses Sura we find that the main objective axis around which Al Jaathiyah every time underscores the fact that the subject of the consolidation of Faith Day Stjthoa behind the creations on the severity of the horror which is the Day of Resurrection. That's what makes us emphasize that the

axis that verse after verse because the context of the sura it confirms either a hint or a permit, and most of it in this Sura and God knows best and highest.

المقدمة

مقدمة

الحمّد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبينا محمّد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، وسلم تسليمًا كثيرًا أمّا بعد:

يعد الإهتمام بالتفسير التحليلي والموضوعي لسورة ما، هو من الإهتمامات المعاصرة التي وجدت اهتماماً بالغاً من قبل علماء التفسير، وذلك لما فيه من عموم الفائدة للذي يريد الإطلاع على تفسير سورة ما. وهذا الذي أردته من هذا البحث الذي فائدته لي أولاً، وللمطلع عليه ثانياً، لذلك أحببت أنّ تكون رسالتي حول عنوان "سورة الجاثية دراسة تحليلية وموضوعية" متوكلاً على الله وحده فهو المستعان وعليه التكلان.

1-دوافع اختيار الموضوع:

أ-خدمة لكتاب الله التي لا تعلو عليها شيء، والجلوس مع القرآن الذي لا يعدله شيء، والأخذ من مائدته.

ب-رغبتي الشّديدة في التعامل مع التفسير بشكل مباشر وخاصّة عندما يكون التعامل مع سورة بشكل مباشر، فتكون الفائدة من ذلك.

ج-أهمية جمع مادة التفسير واكتشاف علمائنا كيفية تفسيرهم لسورة ما والتعرف على منهج كلّ واحد منهم.

د-التيسير على طالب العلم الذي يبحث عن التفسير الخاص بسورة الجاثية بشكل مباشر وبثوب جديد ، في دراستها شيء من التعمق والدّقة.

هـ-تعد سورة الجاثية من السّور الحواميم التي يعرف الحافظ لكتاب الله ما تعنيه الحواميم، لذلك عندما يحصل فهمها يسهل حفظها.

2-أهمية البحث:

تكمن الأهمية لدراسة سورة الجاثية وخاصة دراستها التحليلية والموضوعية في:

أ- أنّ هذه الدّراسة تعد جمعاً لأقوال المفسرين عبر العصور لهذه السّورة وبذلك تحصل الفائدة منها من خلال انتقاء أقوالهم في تفسير السّورة.

ب- الجمع بين نمطين من التفسير وهو التحليلي والموضوعي لسورة الجاثية.

ج- التيسير للمطلع في تفسير سورة الجاثية تفسيراً متكاملاً وبثوب جديد.

3-أهداف البحث:

أ-التوصل إلى الأقوال الرّاجحة عند علماء التفسير في تفسير آيات سورة الجاثية .

ب- أخذ الفائدة من المواضيع التي تطرقت لها السّورة، والإستفادة منها في حياتنا الواقعية.

ج- سورة الجاثية لها فكرة أساسية تتمحور عليها؛ وهذا البحث يحاول أن يوضحها للقارئ.

4-إشكالية البحث:

كانت الإشكالية التي تواجه كلّ باحث في الدّراسة التحليلية الموضوعية لسورة :

أولاً: ماهو المحور الذي تدور حوله السّورة؟

ثانياً:ماهي مقاصد وأغراض سورة الجاثية؟

ثالثاً: ماهي المواضيع التي تعرضتها السّورة؟

رابعاً: مامدى صحة أسباب النّزول الوارد لآياتها؟

5- الخطوات المنهجية في الدّراسة:

كانت الدّراسة تحليلية وموضوعية؛ لأنّه الأنسب في دراسة سورة بهذا الشكل، ففي الدّراسة التحليلية ركزّت على كتب المفسرين القدامى لأنّهم الأصل مع اتباع الخطوات في تقسيم السّورة إلى مقاطع ودراستها من خلال شرح المفردات وإظهار الجوانب النّحوية والبلاغية مع القراءات وعرض للتفسير التفصيلي للمقطع، ثمّ الدّراسة الموضوعية التي كانت من خلال دراسة المقطع من حيث ارتباطه بمحور السّورة والتعرض لعلمي المناسبة وسبب النزول مع المعنى الإجمالي له من دون إغفال الهدايات المستنبطة والإسقاط على الواقع.

هذا وقد حرصت في البحث على عزو الآيات إلى سورها وتخريج الأحاديث والأبيات الشعرية إلى قائليها، كما حرصت على التعريف بالأعلام الذين لهم مؤلفات في علم التفسير ليتعرف عليهم المطلع على بحثي أي أصحاب التفاسير ولم أترجم لباقي الأعلام اختصاراً.

6-الدراسات السابقة:

لم أعثر —في حدود ما بحثت- على من تناول دراسة سورة الجاثية من خلال الدراسة التحليلية الموضوعية للسورة ،إلاّ ماوجدته من دراسة تخصّها إمّا تحليلاً:تأملات في سورة الجاثية للدكتور رضا عبد المجيد وإمّا دراسة نحوية صرفية للدكتور محمود عبد المولى خميس .

7-خطة البحث:

مرّ البحث وفق الخطة الآتية:

الفصل التمهيدي:الدراسة العامّة لسورة الجاثية
المبحث الأول:التعريف بالسّورة (اسمها-عدد آياتها —ترتيبها في المصحف
المبحث الثاني: زمان ومكان نزول سورة الجاثية.
المبحث الثالث: أنواع المناسبات في سورة الجاثية
المبحث الرابع:الأغراض العامّة لسورة الجاثية ومقاصدها
المبحث الخامس:عرض عام للسّورة
المبحث السادس : ذِكر ما ادُّعي عليه النّسخ في سورة الجاثية

الفصل الأول:الدّراسة التحليلية لسورة الجاثية

وفيه قسمته لمقاطع وفي كلّ مقطع قمت بدراسته من خلال: معاني المفردات ، المناسبة بين الآيات، الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات، الشرح التفصيلي وما يستفاد منه.والمقاطع هي:

المبحث الأول:تحليل الآيات من الآية الأولى إلى الآية السّادسة.

المبحث الثاني:تحليل الآيات من الآية السابعة إلى الآية الحادي عشر.
المبحث الثالث:تحليل الآيات من الآية الثاني عشر إلى الآية الخامسة عشر.
المبحث الرابع:تحليل الآيات من الآية السادسة عشر إلى الآية الثاني والعشرون.

المبحث الخامس:تحليل الآيات من الآية الثالثة والعشرون إلى الآية التاسعة والعشرون.
المبحث السادس:تحليل الآيات من الآية الثلاثون إلى الآية السابعة والثلاثون.

الفصل الثاني: الدّراسة الموضوعية لسورة الجاثية
المبحث الأول: الوحدة الموضوعية لسورة الجاثية وفيه مطلبين:

المطلب الأول:المحور التي تدور حوله سورة الجاثية
المطلب الثاني:مقاطع السّورة وارتباطها بالمحور الأساسي لها

المبحث الثاني: دراسة مقاطع السّورة موضوعياً: بدراسة مقاطع السّورة من خلال: ربط المقطع بمحور السّورة، المعنى الإجمالي، الهدايات المستنبطة، الإسقاط على الواقع:
المطلب الأول: من آيات الله الدّالة عليه
المطلب الثاني: جزّاء المكذبين بآيات الله

المطلب الثالث: التذكير بنعم الله على عباده

المطلب الرابع:نعمه الخاصّة ببني إسرائيل وإنزال الشّرائع
المطلب الخامس: الوثنية وإنكار البعث بعد الموت
المطلب السادس: أحوال المؤمنين والكافرين في الآخرة

6-الصعوبات:

لم تواجهني صعوبات تذكر إلاّ ما وجدته من قلّة الطّبعات للمصدر الواحد وربما لا تجد له إلاّ طبعة واحدة تمّ الاعتماد عليها من جميع المفسرين، وما كان من تأثيرات خارج هذا ؛ فهي تمرّ بها على أي باحث من لحظات الفتور وكثرة المشاغل.

7-أهم المصادر والمراجع:

اعتمدت على طائفة متنوعة على المصادر؛ فأمّا ما يخص الدّراسة التحليلية كان جلّ اهتمامي على أمّهات الكتب؛ كتفسير الطبري والكشاف ومفاتيح الغيب وابن كثير وغيرها من قدماء المفسرين، أمّا في الدّراسة الموضوعية فكانت على المعاصرين من العلماء؛ كتفسير التحرير والتنوير والظلال والتفسير الموضوعي لسور القرآن لنخبة من الأساتذة وتفاسير الدكتور وهبة الزحيلي وغيرهم.

كذلك رجعت إلى الكتب المتخصصة؛ في القراءات إلى كتب ابن الجزري، واللغة إلى لسان العرب وتاج العروس ومفردات ألفاظ القرآن ، والبلاغة إلى الزمخشري وابن عاشور وغيرها.

وهذا في الأخير لا أنسى أصحاب الفضل عليّ بعد الله عزّ وجل منهم أستاذي: **مصباح موساوي**، وكذلك لا أنسى أساتذتي الذين لم يبخلوا عليّ بخالص توجيهاتهم أخصّ بذلك الشيخ شكيمة عبد القادر ومحمد الصالح غريسي.

وأرجوا من اللجنة الموقرة قبول بحثي هذا المتواضع، والله أسأل الذي وفقني لإتمامه وأن لا يحرمني جنّته ورضوانه والمسلمين وآخر دعوانا أنّ الحمّد لله رب العالمين.

الفصل التمهيدي : الدراسة العامّة

لسورة الجاثية، وقد تناولت فيه:

المبحث الأول: التعريف بالسورة.

المبحث الثاني: زمان ومكان نزول سورة الجاثية.

المبحث الثالث: أنواع المناسبات في سورة الجاثية.

المبحث الرّابع: الأغراض العامّة لسورة الجاثية ومقاصدها.

المبحث الخامس: عرض عام للسّورة.

المبحث السادس: ذكر ما ادّعي عليه النّسخ في سورة الجاثية.

الفصل التمهيدي: الدّراسة العامّة لسورة الجاثية.

المبحث الأول: التعريف بالسّورة (اسمها– عدد آياتها – ترتيبها في المصحف) .

المطلب الأول: اسم السّورة.

ينبغي النّظر في وجه اختصاص كلّ سورة بما سُميت به ، "ولا شك أنّ العرب تُراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشّيء؛ من خلق أو صفة تخصّه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق ، لإدراك الرائي للمسمى ؛ ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"[1].

وذكر العلماء في التّسمية؛ أنّ الأصل أن تُسمى السّورة باسم أمر ذي بال مذكور فيها، لذلك سُميت: بسورة الجاثية؛ لأنّ الخلائق كلّها تجثُوا يوم القيامة على الرّكب ؛ للأهوال التي يلقونها فزعا في انتظار الحساب؛ للآية الواردة في السّورة: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الجاثية:28 ، وأنّ لفظ "جاثية" لمّ يرد إلاّ في هذا الموضع من القرآن بهذه الدّلالة عن هول يوم القيامة وعن الأحداث التي ستقع فيه، ثمّ ختمت آيات السّورة بهذا اللفظ الذي يقع في النّفوس موقعه، والأظهر أنّ الاسم التوقيفي للسّورة هو (حم الجاثية)[2]. وهذا ما رجحّه طائفة من المفسرين منهم الواحدي[3] عند تفسيره لسورة الجاثية والرّاجح له هذا الاسم [4]، وذكره الحاكم[5] في مستدركه عند ذكره

1– البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط: 1، 1376 هـ – 1957 م)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه: 270/1.

2- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من الأساتذة تحت إشراف الدكتور مصطفى مسلم ،نشر جامعة الشارقة(ط:1 1431هـ/2010م):159/7.

3 - علي بن أحمد بن محمد، أبو الحسن الواحدي : أوحد عصره في التفسير، عالم بالأدب ولد بنيسابور، وأخذ عنه شيوخها ، توفي[468 هـ– 1076 م]بنيسابور، له "البسيط" ، "الوسيط" في التفسير أيضا، وهو مختار من البسيط، و "الوجيز" و "أسباب النزول".(معجم المفسرين لعادل نويهض:352/1).

4– الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 1، (1415 هـ – 1994 م):94/4.

5- محمد بن عبد الله بن الضبي، الطّهماني النيسابوريّ، الشهير بالحاكم، كنيته أبو عبد الله: من أكابر حفّاظ الحديث والمصنفين فيه، مولده ووفاته: (321 – 405 هـ) في نيسابور، أخذ عن نحو ألفي شيخ ، وهو من أعلم النّاس بصحيح الحديث وتمييزه عن

لتفسيره[1]. ولها اسمان آخران وهما: سورة الشّريعة وسورة الدّهر لذكرِهما فيها [2]؛ ويُعدّان هذين المسمين لها من الأسماء الاجتهادية والله أعلم.

المطلب الثاني: عدد آياتها.

بالنسبة لعد الآي فهذا الموضوع من العلوم التي اهتمّ بها العلماء لما يمسّ المعنى وماينتج منه من أحكام ومعرفة وقف السنّة ، وفي هذا الصّدد اكتفى بذكر مواطن الاختلاف، ونسب كلّ عدٍّ إلى أصحابه، وتحدّث العلماء عن سورة الجاثية وأفاضوا في ذلك، نذكر ما نقله عالم الزيتونة ابن عاشور[3] فقال: إنّه أُختلف في عدد آيّها إلى قولين : أنّ عدّ المدينة ومكة والشّام والبصرة ست وثلاثون آية ، وفي عدّ الكوفة : سبع وثلاثون، ورجّح اختلافهم في عدّ لفظ "حم" هل هي آية مستقلة أم لا[4].وذكرها الآلّوسي[5] في روح المعاني[6] وأشار إلى ذلك الزّمخشري[7] في كشّافه[1].

سقيمه، صنّف كتبا كثيرة جدا منها: (المستدرك على الصحيحين)، و(الإكليل) و(المدخل) في أصول الحديث، و(تراجم الشيوخ) وغيرها. (الأعلام للزركلي: 227/6)

1 – ذكره الحاكم في م ستدركهعلى الصحيحين، كتاب :التفسير،باب:تفسير سورة حم الجاثية وعند أهل الحرمين حم الشريعة ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ،(ط:1 ، 1411 هـ– 1990م) :2 /490.

2– غرائب التفسير وعجائب التأويل ، لمحمود بن حمزة الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، (د–ط) مؤسسة علوم القرآن – بيروت، (د–ت):1083/2.

3 – محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس ، مولده ووفاته سنة(1296 - 1393 هـ = 1879 - 1973 م)، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن . (الأعلام للزّركلي174/6).

4– التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي،(د–ط)، الدار التونسية – تونس، (1984م):324/25.

5– محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدّين، كنيته أبو الثّناء:شيخ علماء العراق في عصره، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، مشارك في بعض العلوم ، نسبته إلى جزيرة آلوس في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد ، ولد ببغداد: [1217 هـ- 1802م] وتوفي بها سنة [1270 هـ - 1854 م] ،ورحل إلى عدّة مدن وعكف على التأليف إلى أن توفي ، له تصانيف، أشهرها "روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني"وله أيضا "دقائق التفسير" مخطوط (معجم المفسرين لعادل نويهض:665/2).

6– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي،تحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط:1- 1415 هـ):136/13.

7 – محمود بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي ، النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، يُلقب بجار الله ؛ لأنّه جاور بمكة زمانا، ولد في رجب 467هـ بزمخشر قرية من قرى خوارزم، وقال ابن خلكان: كان إمام عصره وكان متظاهرا بالاعتزال داعية إليه، له التّصانيف البديعة منها: الكشاف في التفسير و الفائق في غريب الحديث و أساس البلاغة وغير ذلك ، مات ليلة عرفة سنة538هـ. (طبقات المفسرين للسيوطي104/1).

وهذا التدقيق من قبل علمائنا رحمةُ الله عليهم نلمس فيه مدى اهتمامهم وعنايتهم بكتاب الله، وهذا كلّه من تكفّل الله بحفظه كما وعد سبحانه:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: 9.

المطلب الثالث: ترتيبها في المصحف.

فلذلك نقول بأنّ نزول سورة الجاثية كان بعد سورة الدّخان وقبل الأحْقاف؛ فإذن فترتيبها في المصحّف الشّريف هو أنّها السّورة الخامسة والأربعون، وأمّا الجزء فهو الخامس والعشرون، وتعدّ من الحزب الخمسين، وأمّا بالنسبة للرّبع فهو الرّبع الرّابع.

المبحث الثاني: زمان ومكان نزول سورة الجاثية.

يُعتبر جانب الإحاطة بعنصر "الزمكانية للسّورة" ذو أهمية عند المفسرين، لتعلقه بالفهم العام لمحتوى السّورة؛ لأنّ كلّ مرحلة من مراحل البعثة لها ميزاتها الخاصّة في السّورة ، فالمرحلة المكية في نزول السّور ليست هي المدنية، فعند معرفة الإطار الزّماني والمكاني للسّورة نعرف الملامح العامّة لها.

سورة الجاثية نزلت في الفترة بعد سورة الدّخان ، ونزلت سورة الدخان بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة الجاثية في ذلك التاريخ أيضا [2]، فهذا هو إطارها الزّماني على الرّاجح من أقوال العلماء والله أعلم.

أمّا إطارها المكاني: وهو المكان الذي نزلت فيه السّورة والذي له من الأهمية البالغة فبه تُرسم المعالم التي تبين ملامح السُورة .

فيذكر ابن عطية [3] في تفسيره لها ، عندما ذكر مقدمته للتعريف بسورة الجاثية، أنّه رجّح قولاً واحداً ولم يذكر له مخالف: أنّها سورة مكية لا خلاف فيها[1].

1- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،لأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:3 ،(1407 هـ):284/4.

2- الموسوعة القرآنية خصائص السّور لجعفر شرف الدّين، لعبد العزيز التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت،(ط: 1 - 1420 هـ):109/8.

3- عبد الْحق بن غَالب بن عَطِيَّة الإِمَام الْكَبِير قدوة الْمُفَسّرين أَبُو مُحَمَّد الغرناطي الْقَاضِي، وَكَانَ فَقِيها عَارِفًا بِالْأَحْكَامِ والْحَدِيث وَالتَّفْسِير بارع الْأَدَب بَصيرًا بِلِسَان الْعَرَب وَاسع الْمعرفَة وَله يَد فِي الْإِنْشَاء وَالنّظم والنثر وَكَانَ يتوقد ذكاء وَله التَّفْسِير الْمَشْهُور ذكر فِي أسامي الْكتب أَنه الْمُسَمّى بالمحرر الْوَجِيز تَفْسِير الْكتاب الْعَزِيز وَهُوَ تَفْسِير شريف جليل الْقدر والشأن قد تداوله فحول الْعلمَاء وأثنوا عَلَيْهِ خيرا حَتَّى قَالَ أَبُو حَيَّان هُوَ أجل من صنف فِي علم التَّفْسِير وَأفضل من تصدر للتنقيح فِيهِ وَالتَّفْسِير توفّي سنة سِتّ وَأَرْبَعين وَخَمْسمِائة. (طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي:175،176).

المبحث الثالث: أنواع المناسبات في سورة الجاثية

يعدّ علم المناسبة من العلوم التي نالت الحظ الأوفر من الاهتمام وخاصة من قبل العلماء المتأخرين أمثال: البقاعي وابن عاشور وغيرهم، لما في هذا العلم من ربط أجزاء القرآن بعضه ببعض.

المطلب الأول: مناسبة سورة الجاثية لما قبلها:

فتظهر مناسبة هذه السّورة "الجاثية" لما قبلها من وجهين، كما ذكر الشيخ وهبة الزحيلي[2] في تفسيره[3] فقال:

-**أولا**: ابتدأت هذه السّورة الجاثية بالكلام عن تنزيل القرآن من اللّه تعالى، والذي هو مكمّل لما ختمت به سورة الدّخان ؛ من جعل القرآن بلغة النّبي ﷺ ولغة قومه العرب، فهو عربي اللسان نصاً وفحوىً، ومعنىً وأسلوباً، وفي ذلك حثّ على اتباعه والإيمان به.

-**ثانيا**: تشابه السّورتين في الغايات الكبرى التي يستهدفها القرآن: وهي إثبات وحدانية اللّه من خلال بيان أدلّة القدّرة الإلهية في خلق السّموات والأرض، ومناقشة المشركين في عقائدهم الفاسدة، وضرب الأمثال من مصائر الأمم الغابرة التي أهلكها اللّه لتكذيبهم الرّسل.

المطلب الثاني: مناسبة السّورة لما بعدها.

فنجد أنّ وجه اتصال سورة الجاثية بما بعدها الأحقاف ؛ أنّه تعالى ختم الجاثية بالتوحيد، وذمّ أهل الشرك وتوعدهم عليه، وافتتح الأحقاف بالتوحيد وتوبيخ المشركين على شركهم أيضا [4].وكذلك يمكن ربط ذلك أيضاً لزمن ومرحلة نزول السّورتين فكلّ منهما نزل في الفترة المكية التي كانت جلّ السّور لها ميزات معينة تتفق فيما بينها ؛ أقصد بذلك من معالجة العقيدة الفاسدة بالبراهين والأدلّة، وهذا ماتفرّد به القرآن الكريم المكي في أسلوبه وأغراضه.

---

1 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت ،(ط 1- 1422 ه):79/5.

2- وهبة بن مصطفى الزحيلي: ولد في بلدة دير عطية من نواحي دمشق عام 1932م، تابع تحصيله العلمي في كلية الشَّريعة بالأزهر الشريف، تخصصه الدقيق في الفقه وأصول الفقه، له كتب عدّة منها الوجيز والوسيط في التفسير وغيرها كثير. (المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين 368/1).

3- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، (ط2- 1418ه):246/25.

4- تفسير المراغي،لأحمد بن مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،ط: 1، (1365 ه - 1946 م):3/26

المطلب الثالث: مناسبة بداية السّورة بخاتمتها.

أمّا الحديث عن الرّابط "وإن صحّت العبارة" بين المقدمة والخاتمة للسّورة، فإنّه ي ذكر السيوطي[1] في كتابه "مراصد المطالع" أنّ تناسب بداية سورة الجاثية بخاتمتها وقع بين الآية الواقعة في صدر السّورة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ ﴾ الجاثية:9، وهي واضحة وضوح الشّمس في كبد السّماء أي أنّه لما ذكر الله تعالى حال المستهزئ بآيات الله والبشارة بالعذاب الأليم على أفعاله هذ ه في صدر السّورة،كان ختامها فيها آل إليه هذا المستهزئ وتفكيره بما أقدم عليه في الدنيا.

المبحث الرّابع:الأغراض العامّة لسورة الجاثية ومقاصدها

قبل أنّ الحديث عن أغراض ومقاصد هذه السّورة، ينبغي أنّ نُبين الظروف التي نزلت فيها، لأنّ معرفتنا لذلك تفتح لنا الباب الواسع أمام معرفة أغراض السّورة وأهدافها التي من أجلها أُنزلت. كما هو معلوم أنّ السّورة مكية وأهم ميزات السّور المكية هي: تأسيس العقيدة الإسلامية في النفوس؛ بالدّعوة إلى عبادة الله وحده والإيمان برسالة محمّد ﷺ وباليوم الآخر، وإبطال المعتقدات الوثنية الجاهلية وعبادة غير الله، وإيراد الحجّج والبراهين على ذلك.

فغرض سورة الجاثية هو الدّعوة إلى الإيمان بالله تعالى، والرّد على الدّهرية الذين لا يؤمنون به، وينكرون البعث بعد الموت، وقد دعت السّورة إلى هذا تارة بالدّليل، وتارة بالترهيب والترغيب، شأنّها في ذلك شأن السّور السّابقة، وشأن السّورة التي ذُكرت قبلها ووافقتها في هذا الغرض، وخاصّة إذا وافقتها في الحروف التي ابتدأت بها، ولهذا ذُكرت هذه السّورة معها، وسُميت مجموعة هذه السّور بالحواميم، نسبة إلى بدايتها بقوله تعالى: حم[2].

أمّا معظم مقصود السّورة: فبيان حجّة التوحيد، والشّكاية من الكفّار والمتكبرين، وبيان النّفع، والضّر والإساءة، والإحسان، وبيان شريعة الإسلام والإيمان، وتهديد العصاة والخائنين من أهل الإيمان،

1- عبد الرحمن بن ابى بكر السّيوطى جلال الدّين ولد في:(849هـ).إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ستمائة مصنف ، نشأ فى القاهرة يتيما وبها توفى في (911هـ)، ومن أشهر مؤلفاته: الإتقان فى علوم القرآن والأشباه والنظائر فى العربية، والأشباه والنظائر فى فروع الشافعية والحاوى للفتاوى. (موسوعة الأعلام: من موقع وزارة الأوقاف المصرية).

2- الموسوعة القرآنية خصائص السّور جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت،(ط:1 - 1420 هـ):8 /123.

وذم متابعي الهوى، وذلُّ النّاس في المحشر، ونسخِ كُتب الأعمال من اللوح المحفوظ، وتأبيد الكفّار في النّار، وتحميد الرّب المتعال بأوجز لفظ، وأفصح مقال[1].

المبحث الخامس: عرض عام للسّورة[2]

خلال النّظرة العامّة لسورة الجاثية ، يظهر أنّها جاءت كمثيلاتها من السّور المكية ، تدور على أساسيات موضوع العقيدة؛ من الدّعوة إلى الإيمان بالله تعالى، والرّد على الدّهرية الذين لا يؤمنون به، وينكرون البعث بعد الموت.

فقد بدأت كغيرها من سور "آل حم" بالكلام عن القرآن، وإنزاله من العزيز الحكيم، ثمّ عرضت لذكر آيات الله في خلق السّموات والأرض، وما بثّ فيهما من إنسان وحيوان، وبدائع صُنع، وروائع حكمة، وتجلّى هذا في اختلاف الليل والنّهار، وتسخير الرّياح والأمطار، وإنبات الزّرع والأشجار، وجري البحور والأنّهار، ثمّ عرضت لأحوال الكافرين الذين يصمّون أسماعهم، ويعطّلون عقولهم، فلا يتدبرون في هذه الكائنات ولا يتعظون بهذه الآيات، ثمّ تنتقل إلى الحديث عن نعم الله تعالى على العباد، وتسخير ما في السّموات وما في الأرض جميعا لتيسير حياتهم، وتسهيل معاشهم، وتعقب ذلك بأنّ لكل واحد جزّاءه:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ﴾ الجاثية: 15.

ثمّ تتحدث عن بني إسرائيل وما أفاء الله عليهم من النّبوات والحكمة، وما يسّر لهم من الطّيبات، وآتاهم من البيّنات والآيات فلم يكن منهم إلاّ الخلاف، والاندفاع في الطّغيان والانحراف.

ثمّ تتجه الآيات إلى نبوة سيدنا محمّد ﷺ وأنّها جاءت على منهاج واضح، وشريعة مستقيمة يجب اتباعها، والسّلوك على هديها، والبعد عن الأهواء وسلوك سبيل الطّغاة الجاحدين الذين لا يفلتون من عذاب الله، ولا يكونون أبداً كالذين آمنوا وعملوا الصّالحات.

ثمّ خوّفت الآيات في أسلوب شديد من اتباع الهوى والضّلال على علم؛ فيختم على السّمع والقلب، ويغشى النّظر فلا يكون لصاحبه هداية، ويندفع ضلاله فينكر البعث والجزّاء، وإذا تتلى عليه آيات الله ولى مستكبراً معرضاً عن الاتعاظ والاعتبار خلوداً إلى الدّنيا، وغروراً بها، وكفراً بالله الذي خلقهم، وأحيّاهم ثمّ يميتهم ويجمعهم إلى يوم القيامة لا ريب فيه، وتُدعى كلّ أمّة إلى كتابها لتلقى جزاءها،

1- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمّد الفيروزآبادى ، تحقيق: محمد علي النجار ، (د-ط)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (1393 هـ - 1973 م):426/1.

2- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط:1، (1393 هـ - 1414 هـ):871/9.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ الجاثية:30، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾،فيُقال لهم: ﴿ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١ ﴾ ، فاليوم جزاؤكم جهنّم :﴿ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٣٥ ﴾ الجاثية31.

ثمّ تنتهي آيات السّورة بإثبات الحمّد والكبرياء لله ربّ السّموات والأرض العزيز الحكيم.

المبحث السادس: ذِكر ما ادُّعي عليه النّسخ في سورة الجاثية

سأتناول في هذا المبحث ما ذكره علماء التفسير عليهم رحمة الله من النّسخ الحُكمي الذي جاء في السّورة فما أورده العلماء في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾الجاثية: 14، فحرّر ابن الجوزي المسألة فقال [1]: جمهور المفسرين على أنّها منسوخة، لأنّها تضمنت الأمر بالإعراض عن المشركين، واختلفوا في ناسخها على أربعة أقوال:

أحدها: بآية السيف؛ فعن ابن عباسﷺ في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ ، قال: كان نبي الله ﷺ يُعرض عن المشركين إذا آذوه، وكانوا يستهزئون به ويكذبونه فأمره الله أن يقاتل المشركين كافّة، فكان هذا من المنسوخ[2]، وعن ابن عباسﷺ قال: نسخت بآية السيف[3].

وعن ابن عباس ﷺ:﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ ،ونحو هذا من القرآن ممّا أمر الله فيه بالعفو عن المشركين ، فإنّه نُسخ ذلك بقوله :﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ٥ ﴾ التوبة: 5، وقوله:﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ٢٩ ﴾ التوبة:29[4].

وعن قتادة قال:﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ ، قال: نسختها ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ٥ ﴾ التوبة: 5 [5].

1- نواسخ القرآن، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرّحمن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، (ط: 2- 1423هـ/2003م):2/577،574.

2- أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآ ن،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر ، (ط:1- 1422 هـ - 2001 م)"قال المحقق: عن ابن عباس من طريق العوفي وإسناده كإسناد المؤلف مسلسل بالضعفاء":80/21.

3- رواه الطبري بإسناده عن الضحاك في المصدر السابق . وآية السيف، هي-في أصحّ الأقوال-: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾ التوبة:5.

4- والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور، دار الفكر – بيروت، (د-ط،ت):6/ 34، وقال: أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

5- رواه الطبري في جامع البيان عن معمر عن قتادة:81/21.

وهذا ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان[1]وأبو القاسم المقري[2]و الفيروزآبادى[3].

والقول الثاني : أنّ ناسخها قوله في الأنفال: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأنفال57، وقوله في براءة :﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ التوبة: ،36 رواه سعيد عن قتادة.

وعن قتادة أيضاً قال:﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأنفال:57[4].

والقول الثالث: قوله:﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة: 29.وعن قتادة: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ ثمّ نسخ فقال: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾الآية.

والقول الرّابع: قوله:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ الحج: 39، قاله أبو صالح[5].

وذكرت معظم كتب النّسخ نسخ هذه الآية بدون تعليق، وقال ابن الجوزي باحتمال إحكامها، ويعتبر بعض المتأخرين هذه الآية ممّا تأمر بحسن المعاملة للأعداء وهذا من حكمة الدّعوة إلى الله، التي لا ينبغي للدّعاة تركها، وهذا ما ذهب إليه محمّد صدّيق خان [6]حيث قال:والأقرب أن يقال: إنّه محمول على ترك المنازعة، وعلى التّجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية [7]،وأحسن ماقيل في هذه الآية قول ابن عطية "رحمّه الله" قال [8]: "قال أكثر النّاس: وهذه آية منسوخة بآية القتال وقالت

1- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، (ط:1 - 1423 ه):837/3.

2- الناسخ والمنسوخ، لأبو القاسم هبة الله المقري، تحق يق: زهير الشاويش ، محمد كنعان، نشر: المكتب الإسلامي – بيروت،(ط:1- 1404 ه) :159.

3- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد الفيروزآبادى ،تحقيق: محمد علي النجار،(د–ط)، نشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (1393 ه - 1973 م):1 /426.

4- رواه الطبري في جامع البيان عن سعيد عن قتادة:81/21.

5- ذكره الطبري عن أبي صالح من طريق عبد بن حميد. انظر: جامع البيان:82/21.

6- محمد صديق خان البخاري القنوجي، أبو الطيب:من رجال الإصلاح الإسلامي ، ولد في بلدة قنوج بالهند، وبها نشأ وتعلم، وانتقل إلى "دهلي" فأخذ عن علمائها،عاش مابين: [1248 - 1307 ه / 1832 - 1890 م]، له نيف ومئة كتاب بالعربية والفارسية والهندية ما بين مطول ومختصر، منها "فتح البيان في مقاصد القرآن" طبع في عشرة أجزاء، في التفسير" و "نيل المرام من تفسير آيات الأحكام" طبع، و "خلاصة الكشاف" في إعراب القرآن، طبع، وغير ذلك (معجم المفسرين لعادل نويهض:539/2).

7- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبو الطيب محمد صديق خان ، اعتنى بالكتاب: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري،(د–ط)، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، سنة: 1412 ه - 1992 م:422/12.

8 المحرر الوجيز: 82/5.

فرقة: الآية محكمة، والآية تتضمن الغفران عموماً، فينبغي أن يّقال: إنّ الأمور العظام كالقتل والكفر مجاهرة ونحو ذلك قد نُسخ غفرانه بآية السّيف والجزّية وما أحكمه الشّرع لا محالة، وإنّ الأمور المحقرة كالجفاء في القول ونحو ذلك يحتمل أن يبقى محكمه، وأن يكون العفو عنها أقرب إلى التّقوى".شرط النّسخ لم يتحقق هنا

الفصل الأول: الدّراسة التحليلية

للسورة، وقد تناولت فيه

المبحث الأول: تحليل الآيات من 01إلى 06.

المبحث الثاني: تحليل الآيات من 07إلى 11.

المبحث الثالث: تحليل الآيات من 12 إلى 15.

المبحث الرّابع: تحليل الآيات من 16 إلى 22.

المبحث الخامس: تحليل الآيات من 23إلى 29.

المبحث السادس: تحليل الآيات من 30إلى 37.

الفصل الأول: الدّراسة التحليلية لسورة الجاثية.

مدخل :

الدّراسة التحليلية لسورة ما يراد به: بيان الآيات القرآنية بياناً مستفيضاً من جميع نواحيها، بحيث يسير المفسر فى هذا البيان مع آيات السّورة آية آية، شارحاً مفرداتها، وموجهاً إعرابها، وموضحاً معانى جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار، ومبينا أوجه المناسبات بين الآيات والسّور، مستعيناً فى ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، وبأسباب النزول، وبالأحاديث النبوية، وبما صحّ عن الصّحابة والتابعين، وبغير ذلك من العلوم التى تعينه على فهم النّص القرآنى وتوضيحه للقرّاء، مازجاً ذلك بما يستنبطه عقله، وتمليه عليه نزعته[1].

المبحث الأول: تحليل الآيات من الآية الأولى إلى الآية السّادسة.

افتتحت هذه السّورة كما افتتحت سابقاتها من سور الحواميم بالحروف المقطعة، ثمّ دلّت أنّ هذا القرآن هو تنزيل من الله العزيز الحكيم ، لتبرهن على دلائل قدرت الله ووحدانيته بأدلّة كونية ظاهرة للعيان فمن شاء آمن ومن شاء كفر، وهذا ما نجده بيّنا في الآيات الآتية، في مطلع سورة الجاثية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾

الجاثية: 1-6.

1- الموسوعة القرآنية المتخصصة،لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ط: 1423 هـ - 2002 م: 278.

المطلب الأول: معاني المفردات

. حمٓ: هذا أحد الحروف الهجائية يكتب هكذا: حمٓ، ويُقرأ هكذا: حاميم ، ولم يثبت في تفسيرها عن النّبي ﷺ شيء، كونها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، وه ذا أقرب إلى الصّواب، ولذا يُقال فيها: حمٓ: الله أعلم بمراده ذلك [1].لكن العلماء اختلفوا في وجه الحكمة والأرجح ما رجحه كثير من العلماء أنّه يؤتى بها للتحدي والإعجاز.

– لَأٓيَٰتٖ، ءَايَةٌ، ءَايَٰتُ، وَءَايَٰتِهِۦ :ذكر الأنباري[2] في كتابه الزّاهر[3] إلى اختلاف النّاس في كلمة آية إلى ثلاثة أقوال؛ منها العلامة والجماعة والعجب من الشّيء هذا لمعناها اللّغوي، أمّا لمعناها الاصطلاحي القرآني فهي الدّلالة والعلامة والحجّة على قدرته سبّحانه وتعالى.

–وَمَا يَبُثُّ : من بَثَّ الشّيءَ والخَبَرَ يَبُثُّه ويَبِثُّه بَثّاً وأَبَثَّه بمعنى : فانْبَثَّ ؛ فَرَّقه ، فتَفَرَّقَ ، نَشَره[4]وهو من التوزيع والإكثار وهو يقتضي الخلق والإيجاد فكأنّه قيل وفي خلق الله ما يبث من دابة[5].

–دَآبَّةٖ: فتكون الدّابة جمعاً لكلّ شيء يَدِبُّ [6]؛ على الأرض غير الإنسان وهذا أصل إطلاقها، وقد تطلق على مايدب بالأرجل دون الطائر.

1– أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،ط:5، (1424هـ/2003م): 21/5.

2– محمد بن القاسم ، أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر النّاس حفظا للشعر والأخبار. ولد في الأنبار271 هـ (على الفرات) وتوفي ببغداد(328 هـ)،من كتبه (الزّاهر) في اللغة، و (إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل) وغيرها . (الأعلام للزركلي334/6).

3–. الزّاهر فى معانى كلمات النّاس لأبو بكر الأنباري،تحقيق : د. حاتم صالح الضامن مؤسسة الرّسالة – بيروت – (ط:1، 1412 هـ -1992):74/1.

4– لسان العرب، لابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت،ط:2،(د،ت): 114/2.

5- التحرير والتنوير:327/25.

6 - المفردات في ألفاظ القرآن، لأبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهانى،المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت،(ط:1 - 1412 هـ):306.

-وَٱخۡتِلَٰفِ: أي: في مجيء كلّ واحد منهما خلف الآخر وتعاقبهما يعني عن الليل والنّهار[1].

-وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ :وصَرَّفَ الشّيءَ أَعْمله في غير وجه ،كأَنّه يَصرِّفه عن وجه إلى وجه ، وتَصَرَّفَ هو، وتَصارِيفُ الأُمورِ؛ تَخالِيفُها، ومنه تَصارِيفُ الرِّياحِ والسَّحابِ، تَصْرِيفُ الرِّياحِ، صَرْفُها من جهة إلى جهة ، وكذلك تصريفُ السُّيُولِ والخُيولِ والأُمور والآيات ، وتَصْرِيفُ الرِّياحِ؛ جعلُها جَنُوباً وشَمالاً، وصَبّاً ودَبُوراً فجعلها ضُروباً في أَجْراسها[2].

المطلب الثاني: المناسبة بين الآيات.

ذكر تعالى تنبيهاً لنبيه والمؤمنين إلى ما قد نصبه من الدلائل، سواء ممّا صدّ المعرض عن الاعتبار بها أو ببعضها مجرّد هواه، ومن أضلّ ممّن اتبع هواه بغير هدى من الله، فقال تعالى بعد القسم بالكتاب المبين: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ ﴾ الجاثية:3، فلمّا نبه بخلق السّماوات والأرض، أتبع بذكر ما بثّ في الأرض ، فقال: ﴿ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾ الجاثية:4، ثمّ نبه على الاعتبار بإنزال الماء من السّماء وسمّاه رزقاً؛ فقال: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ ﴾ الجاثية:5، ثمّ قال: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦ ﴾ الجاثية:6، أبعد ما شاهدوه من شاهد الكتاب وما تضمنه خلق السّماوات والأرض وما فيهما وما بينهن من عجائب الدّلائل الواضحة لأولي الألباب، فإذا لم يعتبروا بشيء من ذلك فبماذا يعتبر[3].

1- المفردات في ألفاظ القرآن:295.

2 – لسان العرب: 9 /189.

3- نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور ،لإبراهيم بن أبي بكر البقاعي ،(د-ط)، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة،(د-ت):59/18-68.

المطلب الثالث: الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات.

الفرع الأول: الجوانب النّحوية.

–حم: فَإِنْ جُعِلَ اسْمًا لِلسُّورَةِ فَمَحَلُّهُ الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ أَوْ مُبْتَدَأٌ، وَإِنْ جُعِلَ حُرُوفًا مَسْرُودَةً عَلَى نَمَطِ التَّعْدِيدِ فَلَا مَحَلَّ لَهُ[1].

–قوله: ﴿ تَنزِيلُ ﴾: إمَّا خبرٌ ل (حَم) إنْ كانت مبتدأً، وإمَّا خبرٌ لمبتدأ مضمرٍ، وإمَّا مبتدأٌ ، وخبرُه الجارُّ بعدَه[2].

–قوله: ﴿ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ﴾: فيه وجهان، أظهرهما: أنّه معطوفٌ على (خَلْقِكم) المجرورِ ب (في) والتّقديرُ: وفي ما يَبُثُّ. والثاني: أنّه معطوفٌ على الضميرِ المخفوضِ بالخَلْق، وذلك على مذهبِ مَنْ يرى العطفَ على الضميرِ المجرورِ دونَ إعادةِ الجارِّ ، واستقبحه الزّمخشريُّ وإنْ أُكِّد نحو: "مررتُ بك أنت وزيدٍ " يُشير بذلك إلى مذهب الجرميِّ ، فإنَّه يقول: إن أُكِّد جازَ، وإلاَّ فلا، فقولُه مذهبٌ ثالثٌ[3].

– ﴿ ءَايَٰتٌ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ : (آيات) بالضم: مرفوع بالابتداء، وَفِي خَلْقِكُمْ: خبره، أو بالعطف على موضع إنّ واسمها وخبرها، أو مرفوع بالظرف. ومن قرأ بالكسر: جعله منصوبا بالعطف على لفظ اسم إنَّ، أو بالعطف بالجرّ على السَّماواتِ أو منصوب على البدل من آياتٌ الأولى. وكذا قوله : ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾: يُقرأ بالكسر وبالضم بالأوجه السابقة. ﴿ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾: متعلق ب (نتلو) ونَتْلُوها: حال، عاملها معنى الإشارة[4].

1– فتح القدير لمحمد الشوكاني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت،ط:1 – 1414 ه:5/5.

2– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبو العباس السمين الحلبي ،تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخرّاط ،(د–ط)، دار القلم، دمشق(د–ت):453/9.

3–الدر المصون:633،634/9.

4– المنير للزحيلي:249/25.

الفرع الثاني: الجوانب البلاغية

لأوجه البلاغية أهمية في إظهار الجمال القرآني، ومدى تميزه وانفراده عن باقي الأساليب ، فيعتبر المقارنة بينه وبين أساليب العرب كحال السليم المعافى بالسقيم الهزيل، وشتّانى بين الثرى والثرية، لذلك نجد إهتمام المفسرين به، ورائد هذا هو الزّمخشري ومن جاء بعده عالة عليه.

فأوضح ماجاء من بلاغة الآيات في هذا المقطع :

-تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم:استئناف ابتدائي[1].

-**وَمَا يَبُثُّ** : بالمضارع ليفيد تجدد البث وتكرره باعتبار اختلاف أجناس الدّواب وأنواعها وأصنافها[2].

-﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ ﴾؛ أي مطر، مجاز مرسل علاقته المسببية، لأنّ المطر النازل من السّماء هو سبب الرّزق والنبات، أمّا الرّزق فلا ينزل من السّماء[3].

- قوله: فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون [الجاثية: 6]: استفهاما إنكاريا بمعنى النفي[4].

الفرع الثالث: القراءات.

والذي من خلال هذا العنوان وما يأتي بعده في كامل المقاطع على الكتب التي عنونت بالقراءات العشر؛ لإيراد القراءات العشر فقط، مع ذكر توجيهها النّحوي إن وجد في باقي الكتب، مع غض الطّرف عن القراءات الشاذة لكثرتها وعدم استطاعتي حصرها في هذا المطلب، والله المستعان وعليه التُكلان، فأقول:

-في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ ﴾ قرأ حمزة والكسائي والحضرمي : (آيَاتٍ) : خفضًا.وقرأ الباقون: (آيَاتٌ): رفعًا.

- مَنْ قَرَأَ (آيَاتٍ) : فهي في موضع النّصب، وتاء الجماعة تخفض في موضع النّصب؛ لأنّه مَنسُوق على قوله: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ ﴾...﴿ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ ﴾، وكذلك الثانية فهما أشبه لـ (إنَّ) المضمرة.

1- التحرير والتنوير:325/25.

2 - التحرير والتنوير:327/25.

3- المنير للزحيلي: 249/25.

4- التحرير والتنوير:328/25.

وَمَنْ قَرَأَ (آيَاتٌ) بالرفع فهو على وجهين:أحدهما: استئناف على معنى: ﴿ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ ﴾ ويجوز أن يكون مرفوعًا على أنّه خبر (إنّ)[1] .

-وقرأ : ﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ الجاثية: 5: بالتوحيد "الرّيح" حمزة والكسائي وخلف[2].

-وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾: قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب:(تُؤْمِنُونَ) بالتاء، وقرأ الباقون (يُؤمِنون) بالياء[3].

المطلب الرّابع:الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات

الفرع الأول:الشرح التفصيلي

{حم} الحروف المقطَّعة للتنبيه على إعجاز القرآن {تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله العزيز الحكيم} أي هذا القرآن تنزلٌ من الله، العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه، الذي لا يصدر عنه إلا كل ما فيه حكمةٌ ومصلحة للعباد، ثم أخبر تعالى عن دلائل الوحدانية والقدرة فقال {إِنَّ فِي السماوات والأرض لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ} أي إنَّ في خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات العجيبة، والأحوال الغريبة، والأمور البديعة، لعلامات باهرة على كمال قدرة الله وحكمته، لقوم يصدّقون بوجود الله ووحدانيته {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} أي وفي خلقكم أيّها النّاسُ من نطفةٍ ثمّ من علقة، متقلبة في أطوارٍ مختلفة إلى تمام الخلق، وفيما ينشره تعالى ويُفرقه من أنواع المخلوقات التي تدب على وجه الأرض، آياتٌ باهرةٌ أيضاً لقومٍ يصدّقون عن إذعانٍ ويقين بقدرة ربِّ العالمين {واختلاف الليل والنّهار} أي وفي تعاقب الليل والنّهار، دائبين لا يفتران، هذا بظلامه وذاك بضيائه، بنظام محكم دقيق {وَمَآ أَنَزَلَ الله مِنَ السمآء مَّن رِّزْقٍ} أي وفيما أنزله الله تبارك وتعالى من السّحاب، من المطر الذي به حياة البشر في معاشهم وأرزاقهم قال ابن كثير: وسمَّى تعالى المطر رزقاً لأنّه به يحصل الرّزق {فَأَحْيَا بِهِ الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا} أي فأحيا بالمطر الأرض بعدما كانت هامدةً يابسة لا نبات فيها ولا زرع، فأخرج فيها من أنواع الزروع والثمرات

1- معاني القراءات لمحمد الأزهري الهروي ، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود بالسعودية، (ط:1، 1412هـ - 1991 م):375/2.

2- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، ط:3،(2006م – 1427هـ):501.

3- معاني القراءات للأزهري: 2/ 376.

والنبات {وَتَصْرِيفِ الرياح} أي وفي تقليب الرّياح جنوباً وشمالاً، باردة وحارة {آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي علامات ساطعة واضحة على وجود الله ووحدانيته، لقومٍ لهم عقول نيّرة وبصائر مشرقة،{تَلْكَ آيَاتُ الله نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بالحق} أي هذه آيات الله وحججه وبراهينه، الدّالة على وحدانيته وقدرته، نقصُّها عليك يا محمّد بالحقّ المبين الذي لا غموض فيه ولا التباس {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ الله وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ} ؟ أي وإذا لم يصدِّق كفّار مكة بكلام الله، ولم يؤمنوا بحججه وبراهنيه، فبأي كلامٍ يؤمنون ويصدِّقون؟[1].

الفرع الثاني: ما يستفاد من الآيات

– أنّ القرآن مصدره من الله الذي أنزله على محمّد ﷺ.

– ذكر اللَّه سبحانه وتعالى من الدلائل ستة في ثلاث آيات، ختم الأولى بـالْمُؤْمِنِينَ والثانية بيُوقِنُونَ والثالثة بيَعْقِلُونَ ووجه التغاير بينها في التعبير: أنّ الإنسان إذا تأمل في السّموات والأرض، وأنّه لا بد لهما من صانع آمن، وإذا نظر في خلق نفسه ونحوها ازداد إيماناً فأيقن، وإذا نظر في سائر الحوادث كمُل عقلُه واستحكم علمُه [2]، ولعل اختلاف الفواصل الثلاث؛ لاختلاف الآيات في الدّقة والظّهور [3].– دعوة القرآن إلى التفكر في النّفس وما حولها في السّموات والأرض.

1- صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة (ط:1، 1417 هـ - 1997 م):169/3.

2- الكشاف للزمخشري: 285/4.

3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،(ط:1 - 1418 هـ):105/5.

المبحث الثاني: تحليل الآيات من الآية السّابعة إلى الآية الحادي عشر.

بعد أنّ بينت الآيات السّابقة الدلائل والبراهين على قدرته سبحانه في الكون وهي دليل قاطع على وحدانيته، عرّج في هذا المقطع على من يستحق المكذب بها :قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ الجاثية: 11-7

المطلب الأول:معاني المفردات

– **وَيْلٌ** :كلمة مثل وَيْحٍ إلاَّ أَنّها كلمة عَذاب ، يقال: وَيْلَهُ، ووَيْلَكَ، ووَيْلي، وفي النُّدْبةِ: وَيْلاهُ قال الأَعشى[1]: قالتْ هُرَيْرَةُ لما جئتُ زائرَها وَيْلي عليكَ ووَيْلي منكَ يا رَجُلُ[2].

– **أَفَّاكٍ** :من أَفَكَ كضَرَبَ وعَلِمَ، وقد قرئ بهنّ قوله تَعالى : ﴿ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ ﴾ الأحقاف 28، أُفُوكاً بالضمِّ : كَذَبَ ومنه حَديث عائِشَةَ – رضي اللّهُ عنها – حِينَ قال فيها أَهلُ الإِفْكِ ما قالُوا أي: الكَذِب، فهو أفاكٌ وأَفِيكٌ وأَفُوكٌ: كَذّاب ومنه قوله تعالى:﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ الجاثية:07[3].

–**يُصِرُّ**:أصله من إصرار الحمار على العانة؛ وهو أن ينحى عليها، صارّا أذنيه مُسْتَكْبِراً عن الإيمان بالآيات والإذعان لما ينطق به من الحقّ، مزدريا لها معجبا بما عنده[4].

1–الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الناشر : دار الفكر – بيروت،ط:2، تحقيق : سمير جابر،(د–ت):177/9.

2– لسان العرب: 11/ 737.

3– تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد مرتضى الزَّبيدي،تحقيق مجموعة من المحققين،(ت–ط)، دار الهداية، (د–ت):44/27.

4– الكشاف للزمخشري :4 /286.

-**مُّهِينٌ** : من الهَوْن: هَوَان الشّيء الحقير الهيِّن الذي لا كَرامةَ له ، وتقول: أهنتُ فلاناً وتهاونت به واستهنتُ به[1].

-**الرِّجْز** : القَذَر مثل الرِّجْس: و الرِّجْز: العذاب، و الرِّجْز و الرُّجْز: عبادة الأَوثان، وقيل: هو الشِّرْك ما كان تأْويله ؛ أَنّ مَنْ عبد غير الله تعالى ، فهو على رَيْب من أَمره ، واضطراب من اعتقاده[2].

المطلب الثاني:المناسبة بين الآيات

أعقب ذكر المؤمنين الموقنين العاقلين المنتفعين بدلالة آيات الله وما يفيده مفهوم تلك الصفات التي أجريت عليهم من تعريض بالذين لم ينتفعوا بها، بصريح ذكر أولئك الذين لم يؤمنوا ولم يعقلوها كما وصف لذلك،وافتتح ذكره بالويل له تعجيلا لإنذاره وتهديده قبل ذكر حاله[3].

فقال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ ﴾.

المطلب الثالث: الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات.

الفرع الأول: الجوانب النّحوية.

-﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ ﴾: ويل مبتدأ، وهي كلمة عذاب، ولذلك ساغ الابتداء بها ولكلّ أفّاك: خبره وأثيم: نعت[4].

-﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ : جملة "يسمع" صفة "لأفّاك أثيم" أو حال من الضمير فيهما ولك أن تجعلها مستأنفة، ويسمع آيات الله: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وجملة تتلى عليه: حال من آيات الله وعليه متعلقان بتتلى[5].

1- تهذيب اللغة للأزهري، ،تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت،(ط:1- 2001م):232/6.

2- لسان العرب: 384/4.

3- التحرير والتنوير: 331/25.

4- إعراب القرآن وبيانه: 144/9.

5- إعراب القرآن وبيانه: 144/9.

-﴿ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾: قَوْله: ﴿ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا ﴾ : هُوَ حَال من الْمُضمر الْمَرْفُوع فِي يصرّ، وَكَذَلِكَ مَوضِع قَوْله :﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾،وَقَوله:﴿ كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ لقمان:7، كِلَاهُمَا حَال أَيْضا من الْمُضمر فِي يصرّ وَمن الْمُضمر فِي مستكبر تَقْدِيره ثمَّ يصرّ على الْكفْر بآيَات الله فِي حَال تكبّره وَحَال تصامّه وَإِن شِئْت قدرته ثمَّ يصرّ مستكبراً مشبهاً من لم يسْمعهَا مشبها من فِي أذنية وقر[1].

- ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ :جملة الشّرط معطوفة على جملة: ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾، الجار (مِنْ ءَايَٰتِنَا) متعلق بحال من(شَيْـًٔا) ،(هُزُوًا)مفعول ثانٍ، وجملة (لَهُمْ عَذَابٌ) خبر (أُو۟لَٰٓئِكَ)وجملة (أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) مستأنفة[2].

-﴿ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا ﴾: الواو عاطفة، ولا نافية ،ويغني: فعل مضارع مرفوع ،وعنهم متعلقان بيغني ، وما موصول فاعل ويجوز أن تكون مصدرية فالمصدر المؤول هو الفاعل ،وشيئا مفعول به[3].

-﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾: كلام مستأنف، مسوق لبيان هداية القرآن، وهذا مبتدأ، وهدى خبر، والذين مبتدأ، وجملة كفروا صلة الموصول ، وبآيات ربّهم متعلقان بكفروا، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة خبر اسم الموصول[4].

الفرع الثاني: الجوانب البلاغية.

-﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾: من صيغ المبالغة على وزن فعّال وفعيل.

-﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾: أسلوب تهكمي، لأنّ استعمال البشارة التي تكون عادة بالخير في الشّر تهكم[5].

1- مشكل إعراب القرآن، لأبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ،تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت،(ط:2، 1405هـ):662/2.

2- المجتبى من مشكل إعراب القرآن لأحمد بن محمد الخرّاط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426 هـ:1176/3..

3- إعراب القرآن وبيانه: 144/9.

4- إعراب القرآن وبيانه: 144/9.

5- تفسير المنير للزحيلي:25 /255.

-﴿ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾:تشبيه مرسل؛ وشبه حالهم في عدم انتفاعهم بالآيات بحالهم في انتفاء سماع الآيات، وهذا التشبيه كناية عن وضوح دلالة آيات القرآن بحيث أن من يسمعها يصدق بما دلّت عليه فلولا إصرارهم واستكبارهم لانتفعوا بها[1].

- ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ ﴾ : ففي الوراء استعارة تمثيلية للاقتراب والغفلة، ومنه قوله تعالى: "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا" [الكهف:79][2].

-﴿ هَـٰذَا هُدًى ﴾ : وصف القرآن بالمصدر الذي هو هدى ؛ للمبالغة كأنّه لوضوح حجّته عن الهدى.

الفرع الثالث: القراءات.

- قَرَأَ ابْن كثير وَحَفْص :{لَهُم عَذَاب من رجز أَلِيم} بِالرَّفْع جعلاه نعتاً للعذاب أَي لَهُم عَذَاب أَلِيم من رجز، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {من رجز أَلِيم} خفضاً جعلاه نعتاً للرجز [3].

– (هزوا) :فروى حفص إبدال الهمزة فيهما واواً. وقرأ الباقون فيهما الهمز[4].

المطلب الرابع: الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات.

الفرع الأول: الشرح التفصيلي.

قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره: واد في جهنّم، لكلّ كذّاب ذي إثم برّبه، مفتر عليه، يقول:﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه، (ثُمَّ يُصِرُّ): على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه، ولا راجع عنه، (مُسْتَكْبِرًا): على ربّه أن يذعن لأمره ونهيه، (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) يقول: كأن لم يسمع ما تلي عليه من آيات الله ، بإصراره على كفره ، (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾) يقول: فبشر يا محمّد هذا الأفّاك الأثيم الذي هذه صفته ، بعذاب من الله له. (أَلِيمٍ) : يعني موجع في نار

1- التحرير والتنوير:332/25.

2 -التحرير والتنوير:333/25.

3- حجّة القراءات لابن زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني :582.

4- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تحقيق:علي محمد الضباع، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]:215/2.

جهنّم يوم القيامة [1]. ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ﴾ : وإذا بلغه شيء من آياتنا وعلم أنّه منها(اتَّخَذَهَا هُزُوًا): اتخذ الآيات (هُزُوًا): ولم يقل اتخذه للإشعار ، بأنّه إذا أحس بشيء من الكلام أنّه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء ،﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ :يجمع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء ، لأنّه في معنى الآية كقول أبي العتاهية[2]:

نفسي بشيء من الدّنيا معلّقة الله والقائم المهدي يكفيها

حيث أراد عتبة (أُوْلَٰٓئِكَ): إشارة إلى كلّ أفّاك أثيم ، لشموله الأفاكين ، (لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) : مخز[3].والمراد بالعلم في قوله: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ﴾: السّمع، أي: إذا ألقى سمعه إلى شيء من القرآن اتخذه هزؤا، أي لا يتلقى شيئا من القرآن إلاّ ليجعله ذريعة للهزء به. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ جيء باسم الإشارة للتنبيه على أنّ ما ذكر من الأوصاف من قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ إلى قوله: (هُزُوًا) على أنّ المشار إليهم أحرياء به.وجملة من ورائهم بيان لجملة لهم عذاب مهين، وفي قوله: (مِّن وَرَآئِهِمْ) ؛ تحقيق لحصول العذاب، وكونه قريبا منهم وأنّهم غافلون عن اقترابه، كغفلة المرّء عن عدو يتبعه من ورائه ليأخذه ، فإذا نظر إلى أمامه حسب نفسه آمنا، من ورائهم جهنّم لأنّ ذلك من جملة العذاب المهين فإن فقدان الفداء وفقدان الولي ممّا يزيد العذاب شدّة ويكسب المعاقب إهانة ، ومعنى الإغناء في قوله: ولا يغني عنهم الكفاية والنّفع، أي: لا ينفعهم[4]. ثمّ قال تعالى: ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾، أي: هذا القرآن الذي أنزلنا هدى لمن وفقه الله إلى الإيمان به والعمل بما فيه ، والذين جحدوا آيات ربّهم ولم يؤمنوا بها، لهم عذاب مؤلم من الرّجز ، قال المبرّد:الرّجز: أغلظ العذاب وأشدّه[5].

1- الطبري: 75/21.

2- زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم الأنصاري،(د-ط)، دار الجيل، بيروت،(د-ت):380/2.

3- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبو البركات عبد الله النّسفي ،حقّقه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت،(ط:1، 1419 هـ - 1998 م) :299/3.

4- التحرير والتنوير لابن عاشور: 332/25.

5- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه،لأبو محمد مكي القيسي، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ،

الفرع الثاني:ما يستفاد من الآيات

1- توعد الله سبحانه وتعالى كلّ من يكذب بآيات الله بالعذاب.

2- وكلّ من له صفة الاستكبار عند سماع آيات الله مع الإصرار على ذلك فله العذاب يوم القيامة.

3- وكذلك كلّ مستهزئ بآيات الله مستحق للعذاب يوم القيامة.

4- أنّ القرآن الكريم هو هدى الله في هذه المعمورة فمن كفر به مستحق للعذاب يوم القيامة.

مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة ،(ط:1، 1429 هـ - 2008م):6773/10.

المبحث الثالث: تحليل الآيات من الآية الثاني عشر إلى الآية الخامسة عشر.

بعد أنّ توعد الله كلّ مكذب ومستكبر ومستهزئ بآيات الله بالعذاب يوم القيامة، ينتقل سياق الآيات إلى نعم الله المسخرة لبني آدم في البحر بالخصوص وفي السّماوات والأرض بالعموم ليختم أنّه العمل سواء كان صالحاً أو سيء سيرجع تبعاته على النّفس بشكل خاص يوم الرّجوع إلى الله قال تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الجاثية: 12-15.

المطلب الأول: سبب النّزول الوارد في المقطع.

في الآية: "قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (14)" وأحسن من أفاض فيها قول صاحب التحرير والتنوير فقال[1]:"إن كانت هذه متصلة بالآي التي قبلها في النزول ولم يصح ما روي عن ابن عباس في سبب نزولها فمناسبة وقعها هنا أن قوله: ويل لكل أفاك أثيم إلى قوله: لهم عذاب من رجز أليم [الجاثية: 7- 11]، يثير غضب المسلمين على المستهزئين بالقرآن. وقد أخذ المسلمون يعتزون بكثرتهم فكان ما ذكر من استهزاء المشركين بالقرآن واستكبارهم عن سماعه يتوقع منه أن يبطش بعض المسلمين ببعض المشركين، ويحتمل أن يكون بدر من بعض المسلمين غضب أو توعد وأن الله علم ذلك من بعضهم. قال القرطبي والسدي: نزلت في ناس من أصحاب رسول ﷺ من أهل مكة أصابهم أذى شديد من المشركين فشكوا ذلك إلى النبيء ﷺ فأمرهم الله بالتجاوز عن ذلك لمصلحة في استبقاء الهدوء بمكة والمتاركة بين المسلمين والمشركين ففي ذلك مصالح جمة من شيوع القرآن بين أهل مكة وبين القبائل النازلين حولها فإن شيوعه لا يخلو من أن يأخذ بمجامع قلوبهم بالرغم على ما يبدونه من إعراض واستكبار واستهزاء فتتهيأ نفوسهم إلى الدخول في الدين عند زوال ممانعة سادتهم بعد هجرة النبيء ﷺ إلى

1- التحرير والتنوير:338/25.

المدينة وبعد استئصال صناديد قريش يوم بدر. وقد تكرر في القرآن مثل هذا من الأمر بالصفح عن المشركين والعفو عنهم والإعراض عن أذاهم، ولكن كان أكثر الآيات أمرا للنبيء ﷺ في نفسه وكانت هذه أمرا له بأن يبلغ للمؤمنين ذلك، وذلك يشعر بأن الآية نزلت في وقت كان المسلمون قد كثروا فيه وأحسوا بعزتهم. فأمروا بالعفو وأن يكلوا أمر نصرهم إلى الله تعالى، وإن كانت نزلت على سبب خاص عرض في أثناء نزول السّورة فمناسبتها لأغراض السورة واضحة لأنّها تعليم لما يصلح به مقام المسلمين بمكة بين المضادين لهم واحتمال ما يلاقونه من صلفهم وتجبرهم إلى أن يقضي الله بينهم.وقد روي في سبب نزولها أخبار متفاوتة الضعف، فروى مكي بن أبي طالب أن رجلا من المشركين شتم عمر بن الخطاب فهم أن يبطش به قال ابن العربي: «وهذا لم يصح» . وفي «الكشاف» أن عمر شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش به فنزلت. وعن سعيد بن المسيب «كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر: ليجزي عمر بما صنع» يعني أنه سبب نزول الآية. وروى الواحدي والقشيري عن ابن عباس: أنّها نزلت في غزوة بني المصطلق: نزلوا على بئر يقال لها: المريسيع فأرسل عبد الله بن أبي
غلامه ليستقي من البئر فأبطأ، فلما أتاه قال: ما حسبك. قال: غلام عمر قعد على فم البئر فما ترك أحدا يسقي حتى ملأ قرب النبيء صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر وملأ لمولاه، فقال عبد الله بن أبي: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قال القائل: «سمن كلبك يأكلك» فهم عمر بن الخطاب بقتله، فنزلت.وروى ابن مهران عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى:من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا [البقرة: 245] الآية قال فنحاص اليهودي: احتاج ربّ محمّد، فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه فنزلت الآية، فبعث رسول الله ﷺ في طلبه فلما جاء قال: ضع سيفك. وهاتان روايتان ضعيفتان ومن أجلهما روي عن عطاء وقتادة وابن عباس أن هذه الآية مدنية.

وأقرب هذه الأخبار ما قاله مكي بن أبي طالب: ولو صحّت ما كان فيه ما يفكك انتظام الآيات سواء صادف نزولها تلك الحادثة أو أمر الله بوضعها في هذا الموضع".

المطلب الثاني: معاني المفردات

– **سَخَّرَ**: سَخَّرْتُه أَي قَهَرْتُه وذللته، قال تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ﴾إبراهيم:33:أَي ذلّلهما والشّمسُ والقمرُ مُسَخَّران يجريان مجاريهما أَي : سُخِّرا جاريين عليهما والنّجومُ

مُسخَّرات. وسَخَرَه كلّفه ما لا يريد وقهره وكلّ مقهور مُدَبَّرٍ لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر، فذلك مسخَّر، وقوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ لقمان:20[1] .

-**يَتَفَكَّرُونَ** : الْفِكْرَةُ: قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتَّفَكُّرُ: جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب[2].

-**يَغْفِرُوا** :التَّغْطِيَة على الذُّنُوب والعَفْوُ عنها ، وقد غَفَرَ اللهُ ذَنْبَهُ يَغْفِرُه غَفْراً بالفَتْح وغِفْرَةً حَسَنَةً بالكَسْرِ ومِن الأَخير قول بعض العَرب: أَسْأَلُك الغَفِيرَةَ والنَّاقَةَ الغَزِيرَة والعِزَّ في العَشِيرَة فإِنّهَا عَلَيْكَ يَسيرَة: غَطَّى عَلَيْه وعَفَا عَنْه وقِيلَ: الغُفْرانُ والمِغْفِرَة من الله أَنْ يَصُونَ العَبْدَ من أَنْ يَمَسَّهُ العَذابُ. وقد يُقَال : غَفَرَ له إِذا تَجَاوَزَ عنه في الظاهِر ولم يَتَجَاوَزْ في الباطنِ نحو قوله تَعَالَى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾[3] .

- **لَا يَرْجُونَ** : والرجاء: ترقب وتطلب الأمر المحبوب، وهذا أشهر إطلاقاته وهو الظاهر في هذه الآية[4].

المطلب الثالث: المناسبة بين الآيات

ولما ذكر سبحانه وتعالى صفة الرّبوبية، فقال: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.ولما ذكر آية البحر لعظمتها، عمّ بمنافع الخافقين "أفقا المشرق والمغرب" دلالة على أنّه ما خلق ذلك كلّه، على عظمه إلّا لنا، تنبيهاً على أنّ الأمر عظيم، فقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ أنّه المتوحد باستحقاق الإلهية فلا يشركون به شيئاً. ولما علمت دلائل التوحيد على وجه علم منه أنّه قد بسط نعمه على جميع خلقه طائعهم وعاصيهم، فعلمت بواسطة ذلك

1- لسان العرب: 352/4.

2 -المفردات في ألفاظ القرآن:643.

3- تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي:247/13.

4- التحرير والتنوير:340/25.

الأخلاق الفاضلة والأفعال الحميدة، وكان على المقبل عليه المحب له التخلق بأوصافه، أنتج قوله مخاطباً لأفهم خلقه عنه وأطوعهم له الذي الأوامر إنّما هي له من شدّة طواعته تكوين لا تكليف: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: للذين أساؤوا إليهم ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ولما رغّب سبحانه ورهّب وتقرّر أنّه لا بد من الجزاء، زاد في الترغيب والترهيب بأن النّفع والضرّ لا يعدوهم فقال شارحاً للجزاء: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] .

المطلب الرّابع :الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات .

الفرع الأول: الجوانب النّحوية

- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾: (ٱللَّهُ)ٱلَّذِي مبتدأ وخبر، الجار (بِأَمۡرِهِۦ) متعلق بحال من (ٱلۡفُلۡكُ)، الجار (فِيهِ) متعلق بـ(لِتَجۡرِيَ)، والمصدر (وَلِتَبۡتَغُواْ) مجرور معطوف على المصدر المجرور الأول (لِتَجۡرِيَ)، وجملة (وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ) معطوفة على المفرد المصدر المجرور:(وَلِتَبۡتَغُواْ)[2].

-﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾:(الواو) عاطفة في الموضعين (لَكُمۡ) مثل الأول، (ما) موصول في محلّ نصب مفعول به ، (فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ) متعلّق بمحذوف صلة ما (ما) مثل الأول ومعطوف عليه ، (فِي ٱلۡأَرۡضِ) مثل في السّموات (جَمِيعًا) توكيد معنوي ل (ما) ، (مِّنۡهُ) متعلّق بحال من ما، (فِي ذَٰلِكَ) متعلّق بخبر مقدّم ل (إنّ)، (اللام) للتوكيد، (لِّقَوۡمٖ) متعلّق بنعت ل (لَأٓيَٰتٖ) وجملة: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ): لا محلّ لها استئناف بيانيّ.وجملة: (وَسَخَّرَ): لا محلّ لها معطوفة على جملة سخّر الأولى، وجملة: (يَتَفَكَّرُونَ)، في محلّ جرّ نعت لقوم[3].

- ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾:(قُل): أمر فاعله مستتر،(لِّلَّذِينَ): متعلقان بيغفروا، ءَامَنُواْ: ماض وفاعله والجملة صلة، (يَغۡفِرُواْ): مضارع مجزوم لأنّه جواب طلب وعلامة جزمه حذف النّون والواو فاعله والجملة مقول القول وجملة

1- نظم الدرر: 74/18- 83 بتصرف.

2- المجتبى من مشكل إعراب القرآن: 1177/3.

3- الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود صافي ، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت،(ط: 4، 1418هـ):145/25.

قل مستأنفة، (لِلَّذِينَ): متعلقان بيغفروا ،(لَا): نافية،(يَرْجُونَ): مضارع مرفوع والواو فاعله والجملة صلة ،(أَيَّامَ): مفعول به ،(ٱللَّهِ): لفظ الجلالة مضاف إليه . (لِيَجْزِيَ): مضارع منصوب بأنّ مضمرة بعد لام التعليل والفاعل مستتر والمصدر المؤول من أنّ وما بعدها في محل جرّ باللام والجار والمجرور متعلقان بالفعل يغفروا ، (قَوْمًۢا): مفعول به ، (بِمَا): متعلقان بيجزي،(كَانُواْ): كان واسمها،(يَكْسِبُونَ) : مضارع مرفوع والواو فاعله والجملة خبر كان وجملة كانوا صلة ما[1].

- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾: (مَنْ): شرط مبتدأ، (صَٰلِحًا): مفعول به. قوله : (فَلِنَفْسِهِۦ): الفاء رابطة، والجار متعلق بخبر محذوف لمبتدأ محذوف، أي: فعمله لنفسه، وتقدير الجواب الثاني: فإساءته لنفسه، وجملة : (تُرْجَعُونَ) معطوفة على جملة : (مَنْ عَمِلَ) [2].

الفرع الثاني:الجوانب البلاغية.

–والتنكير: في قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾؛ المراد بالقوم المؤمنون، وهم معارف، والتنكير لمدحهم والثناء عليهم، أي : أمروا بذلك ليجزي يوم القيامة قوما أيّما قوم، قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على أذية الكفّار، واحتمال المكروه، ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم [3]. وتنكير قوماً للتعظيم، فكأنّه قيل: ليجزي أيّما قوم، أي قوماً مخصوصين. وهذا مدح لهم وثناء عليهم[4].

- ﴿ سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾: إطناب لإظهار الامتنان[5].

- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ ﴾ بينهما طباق[6].

1- إعراب القرآن الكريم،لأحمد عبيد الدّعاس وآخرون ،نشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق،(ط: 1، 1425هـ):216/3.

2- المجتبى من مشكل إعراب القرآن: 1178/3.

3- الجدول في الإعراب: 147/25.

4 -التحرير والتنوير:342/25.

5- التفسير المنير: 261/25.

6-التفسير المنير: 261/25.

-﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾: وأطلق على المصير إلى حكم الله أنه رجوع إلى الله على طريقة التمثيل بحال من كان بعيدا عن سيده أو أميره فعمل ما شاء ثم رجع إلى سيده أو أميره فإنه يلاقي جزاء ما عمله، وقد تقدمت نظائره[1].

الفرع الثالث: القراءات.

- قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا ﴾: قرأ الشّامي وخلف وحمزة والكسائي بنون مفتوحة بعد اللام وكسر الزّاي وفتح الياء، والباقون ما عدا أبا جعفر، بياء مفتوحة في مكان النون مع كسر الزّاي وفتح الياء أيضا، وقرأ أبو جعفر بياء مضمومة مع فتح الزّاي وألف بعدها، ولا خلاف بين العشرة في نصب قوماً[2].يقرأ بالياء إخباراً من الرّسول ﷺ عن ربّه، وبالنّون إخباراً من الله عزّ وجلّ عن نفسه[3]

المطلب الخامس: الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات.

الفرع الأول: الشرح التفصيلي.

ثم لما توعَّدهم بأنواع العذاب ذكَّرهم تعالى بنعمه الجليلة ليشكروه ويوحّدوه فقال {الله الذي سَخَّرَ لَكُمُ البحر} أي الله تعالى بقدرته وحكمته هو الذي ذلَّل لكم البحر على ضخامته وعظمه {لِتَجْرِيَ الفلك فِيهِ بِأَمْرِهِ} أي لتسير السفنُ على سطحه بمشيئته وإرادته، دون أن تغوص في أعماقه، وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله {وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} أي ولتطلبوا من فضل الله بسبب التجارة، والغوص على اللؤلؤ والمرجان، وصيد الأسماك وغيرها {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي ولأجل أَن تشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم وتفضَّل ...{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض جَمِيعاً مِّنْهُ} أي وخلق لكم كل ما في هذا الكون، من كواكب، وجبال، وبحار، وأنهار، ونباتٍ، وأشجار، الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه، من عنده وحده جلَّ وعلا {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} أي إنَّ فيما ذُكر لعبراً وعظات لقوم يتأملون في بدائع صنع الله فيستدلون على قدرته ووحدانيته ويؤمنون، ثم لما بيَّن تعالى دلائل التوحيد والقدرة والحكمة، أردفه بتعليم فضائل الأخلاق، ومحاسن

1- التحرير والتنوير:343/25.

2- البدور الزّاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشّاطبية والدُّرة لعبد الفتاح القاضي،(د-ط)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان،(د-ت):293.

3- الحجّة في القراءات السبع: 325.

الأفعال فقال {قُل لِّلَّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ الله} أي قل يا محمّد للمؤمنين يصفحوا عن الكفّار، ويتجاوزوا عمَّا يصدر عنهم من الأذى، قال مقاتل: شتم رجلٌ من الكفار عمر بمكة فهمَّ أن يبطش به، فأمر الله بالعفو والتجاوز وأنزل هذه الآية، والمرادُ من قوله {لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ الله} أي لا يخفون بأسِ الله وعقابه لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ولا بلقاء الله قال ابن كثير: أُمر المسلمون أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب، ليكون ذلك تأليفاً لهم، ثم لما أصرُّوا على العناد، شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد {لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} وعيدٌ وتهديد أي ليجازي الكفرة المجرمين بما اقترفوه من الإثم والإجرام، والتنكيرُ للتحقير {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا} أي من فعل خيراً في الدنيا فنفعُه لنفسه، ومن أرتكب سوءاً وشراً فضرره عائد عليها، ولا يكاد يسري عملٌ إلى غير عامله {ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} أي ثم مرجعكم يوم القيامة إلى الله وحده، فيجازي كلاً بعمله، المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته[1].

الفرع الثاني: ما يستفاد من الآيات

1- امتن الله على عباده بتسخير الفلك في البحر لهم، وكذلك ما سخّره في السماوات والأرض من أجلهم لعلّ هذا الإنسان يحس بهذه النّعم ويشكر عليها.

2- أمر ربّاني للنّبي ﷺ بأن يقول للمؤمنين إنّه يحسن بهم أنّ يكظموا غيظهم ، إزاء الكفّار الذين يتجاهلون بطش الله وانتقامه ، ولا يتوقعونهما ويصدرون فيما يفعلونه عن ذلك ، وأنّ يتسامحوا ويغضوا عمّا يأتونه من أفعال ويقفونه من مواقف نتيجة له.وتقرير بأنّ الذي يعمل العمل الصّالح إنّما يعمله لنفسه، والذي يعمل السّيء إنّما يتحمل هو تبعته. وبأنّ مردّ النّاس جميعهم إلى الله، حيث يجزى كلّ منهم بما عمل[2].

3- تذكير العبد بالرّجوع إلى الله فيجزي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

1-صفوة التفاسير:171/3.

2-التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]،لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة،1383هـ:561/4.

المبحث الرّابع:تحليل الآيات من الآية السّادسة عشر إلى الآية الثاني والعشرون.

بعد أنّ ذكر الله النّعم العامّة التي سخرها للإنسان، ضرب مثالاً لأناس خصوا بنعم وهم بني اسرائيل وبعدها عرج الله على أجل نعمة خص بها هذه الأمّة وهي نعمة الشريعة، وهذا ما أوضحته الآيات الكريمة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الجاثية:15-22.

المطلب الأول: معاني المفردات

-ٱلطَّيِّبَٰتِ: وأصل الطَّيِّبِ:ما تستلذّه الحواسّ، وما تستلذّه النّفس، والطّعامُ الطَّيِّبُ في الشّرع: ما كان متناولا من حيث ما يجوز، ومن المكان الّذي يجوز فإنّه متى كان كذلك كان طَيِّباً عاجلا وآجلا[1] . والطيبات: هي التي تطيب عند الناس وتحسن طعما ومنظرا ونفعا وزينة[2].

-بَيِّنَٰتٍ : وبينات صفة نزلت منزلة الجامد، فالبينة: الحجّة الظاهرة، أي آتيناهم حججاً، أي علمناهم بواسطة كتبهم وبواسطة علمائهم حجج الحقّ والهدى التي من شأنها أن لا تترك للشك والخطأ إلى نفوسهم سبلاً إلاّ سدّتها[3].

1- المفردات للأصفهاني:527.

2-التحرير والتنوير:345/25.

3- التحرير والتنوير:345/25.

-**ٱلۡعِلۡمُ**: إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان:أحدهما: إدراك ذات الشيء.والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفيّ عنه[1]. وتقدير الكلام: فاختلفوا وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، فحذف المفرع لدلالة ما بعده عليه على طريقة الإيجاز إذ المقصود هو التعجيب من حالهم كيف اختلفوا حين لا مظنة للاختلاف إذ كان الاختلاف بينهم بعد ما جاءهم العلم المعهود بالذكر آنفا من الكتاب والحكم والنبوءة والبينات من الأمر، ولو اختلفوا قبل ذلك لكان لهم عذر في الاختلاف[2].

-**بَغۡيَۢا**: بغى: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرّى تجاوزه أو لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية، يقال: بغيت الشّي إذا طلبت أكثر ما يجب، وابتغيت كذلك[3]. والبغي: الظلم. والمراد: أن اختلافهم عن عمد ومكابرة بعضهم لبعض وليس عن غفلة أو تأويل، وهذا الظلم هو ظلم الحسد فإن الحسد من أعظم الظلم، أي فكذلك حال نظرائهم من المشركين ما اختلفوا على النبيء ﷺ إلا بغيا منهم عليه مع علمهم بصدقه بدلالة إعجاز القرآن لفظا ومعاني[4].

-**شَرِيعَةٖ**: من الشَّرْعُ: نهج الطّريق الواضح. يُقال: شَرَعْتُ له طريقاً، والشَّرْعُ: مصدر، ثمّ جُعل اسما للطريق ؛ النّهج، فقيل له: شِرْعٌ، وشَرْعٌ، وشَرِيعَةٌ، واستعير ذلك للطريقة الإلهيّة. قال تعالى:﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ المائدة:48، فذلك إشارة إلى أمرين:

أحدهما: ما سخّر الله تعالى عليه كلّ إنسان من طريق يتحرّاه ممّا يعود إلى مصالح العباد وعمارة البلاد، وذلك المشار إليه بقوله :﴿ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ ﴾ الزخرف:32.

الثاني: ما قيّض له من الدّين وأمره به ليتحرّاه اختيارا ممّا تختلف فيه الشّرائع، ويعترضه النّسخ، ودلّ عليه قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا ﴾ الجاثية:18. قال ابن

1- المفردات للأصفهاني:580.

2- التحرير والتنوير:346/25.

3- المفردات للأصفهاني:136.

4- التحرير والتنوير:346/25.

عباس: الشِّرْعَةُ: ما ورد به القرآن، والمنهاج ما ورد به السّنّة، وقوله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ ﴾ الشورى: 13 [1].

-وَلِيٌّ : الوَلَاءُ والتَّوَالِي: أن يَحْصُلَ شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النّسبة، ومن حيث الدّين، ومن حيث الصّداقة والنّصرة والاعتقاد، والوِلَايَةُ النُّصْرةُ، والوَلَايَةُ: تَوَلِّي الأمرِ، والوَلِيُّ والمَوْلَى يستعملان في ذلك كلُّ واحدٍ منهما يقال في معنى الفاعل. أي: المُوَالِي، وفي معنى المفعول. أي: المُوَالَى، يقال للمؤمن: هو وَلِيُّ اللهِ عزّ وجلّ ولم يرد مَوْلَاهُ، وقد يقال: اللهُ تعالى وَلِيُّ المؤمنين ومَوْلَاهُمْ، فمِنَ الأوَّل قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ البقرة: 257، ﴿ إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ﴾ الأعراف:196، ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ آل عمران: 68[2].

-اجْتَرَحُوا : الجرح: أثر دام في الجلد، يُقال: جَرَحَه جَرْحاً، فهو جَرِيح ومجروح. قال تعالى: ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ ﴾ المائدة:45، وسمي القدح في الشاهد جرحا تشبيها به، وتسمى الصائدة من الكلاب والفهود والطيور جَارِحَة، وجمعها جَوَارِح، إمّا لأنها تجرح، وإمّا لأنّها تكسب. قال عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ المائدة:4، وسميت الأعضاء الكاسبة جوارح تشبيها بها لأحد هذين، والاجتراح: اكتساب الإثم، وأصله من الجِرَاحة، كما أنّ الاقتراف من: قرف القرحة ، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الجاثية: 21.

المطلب الثاني:المناسبة بين الآيات.

ولما علم بهذه الحكم ما افتتحت به السّورة من أنّ منزل هذا الكتاب عزيز حكيم، فكان التقدير لذلك: لفقد آتيناك الكتاب والحكم والنّبوة وفضلناك وأمتك على العالمين وأرسلناك لتنبه النّاس على ما أمامهم وكان قومه بعد ائتلافهم على الضّلال قد اختلفوا بهذا الكتاب الذي كان ينبغي لهم أن يشتد اجماعهم به واستنصارهم من أجله، عطف عليه مسلياً قوله:{ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنّبوة ورزقناهم من الطّيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إنّ ربّك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون *}.ولما كان معنى هذا أنّه سبحانه

1- المفردات للأصفهاني:450.

2- المفردات للأصفهاني: 885.

وتعالى جعل بني إسرائيل على شريعة وهددهم على الخلاف فيها، فكان تهديدهم تهديداً لنا، قال مصرحاً بما اقتضاه سوق الكلام وغيره من تهديدنا منبهاً على علو شريعتنا: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر}.ولما بين بهذه العبارة بعض فضلها على ما كان قبلها، سبب عنه قوله موجهاً الخطاب إلى الإمام بما أراد به المأمومين ليكون أدعى إلى اجتهادهم، فإنّ أمرهم تكليف وأمر إمامهم تكوين: {فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون *}، ثم علل هذا النهي مهدداً بقوله: مؤكداً تنبيهاً على أن من خالف أمر الله لأجل أحد كان عمله عمل من يظن أنّه يحميه: {إنّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإنّ الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين *}. ولما أوصل سبحانه إلى هذا الحد من البيان، الفائت لقوى الإنسان، قال مترجماً عنه: {هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون *}. ولما كان التقدير بعد هذا البيان الذي لم يدع لبساً في أمر الحساب بما حده من الملك الذي يوجب ما له من العظمة والحكمة أن يحاسب عبيده لثواب المحسن وعقاب المسيء: ...عطف عليه سبحانه وتعالى قوله: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات}.ولما كانت المماثلة مجملة، بينهما استئنافاً بقوله مقدماً ما هو عين المقصود من الجملة الأولى: {سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون *}.ولما أنكر التسوية وذمهم على الحكم بها، أتبع ذلك الدليل القطعي على أن الفريقين لا يستويان وإلا لما كان الخالق لهذا الوجود عزيزاً ولا حكيماً، فقال دالاً على إنكار التسوية وسوء حكمهم بها، عاطفاً على ما تقديره: ...قوله: {وخلق الله السماوات والأرض بالحق}.ولما كان التقدير: ليكون كلّ مسبب مطابقاً لأسبابه، عطف عليه قوله: {ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون*}[1].

1- نظم الدّرر للبقاعي:83/18- 93 بتصرف.

المطلب الثالث :الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات.

الفرع الأول: الجوانب النّحوية.

-﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾:(بَيِّنَٰتٍ): مفعول ثانٍ، الجار مِّنَ ٱلْأَمْرِ): متعلق بنعت لـ(بَيِّنَٰتٍ)، وجملة فَمَا (ٱخْتَلَفُوٓاْ): معطوفة على جملة (وَءَاتَيْنَٰهُم)، (إِلَّا): للحصر، الجار (مِنۢ بَعْدِ) متعلق (ٱخْتَلَفُوٓاْ)، (مَا): مصدرية، والمصدر مضاف إليه. (بَغْيًۢا):مفعول لأجله، (بَيْنَهُمْ): ظرف متعلق بنعت لـ (بَغْيًۢا)، الظرفان: (بَيْنَهُمْ)، (يَوْمَ) متعلقان بـ (يَقْضِى)، وكذا (فِيمَا)، والجار (فِيهِ) متعلق بـ(يَخْتَلِفُونَ) [1] .

-﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾:(أَمْ): منقطعة بمعنى بل ، وهمزة الإنكار (كَٱلَّذِينَ): متعلّق بمحذوف مفعول به ثان.والمصدر المؤوّل(أَن نَّجْعَلَهُمْ): في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي حسب.(سَوَآءً): خبر مقدّم للمبتدأ (مَّحْيَاهُمْ)، مرفوع، (سَآءَ): ماض للذم (مَا) حرف مصدريّ. والمخصوص مقدّر أي حكمهم.والمصدر المؤوّل (مَا يَحْكُمُونَ): في محلّ رفع فاعل ساء جملة: (حَسِبَ ٱلَّذِينَ): لا محلّ لها استئنافيّة وجملة: (ٱجْتَرَحُواْ): لا محلّ لها صلة الموصول(ٱلَّذِينَ) وجملة:(نَّجْعَلَهُمْ): لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ(أَن)، وجملة:(ءَامَنُواْ): لا محلّ لها صلة الموصول(ٱلَّذِينَ) الثاني وجملة: (وَعَمِلُواْ): لا محلّ لها معطوفة على جملة آمنوا وجملة: (سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ): في محلّ نصب بدل من المفعول الثاني المقدّر وجملة:(سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ): لا محلّ لها استئنافيّة، وجملة:(يَحْكُمُونَ): لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ (مَا)[2].

الفرع الثاني:الجوانب البلاغية.

-﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾: وهذا الكلام كناية عن عدم التعجيب من اختلاف المشركين مع المؤمنين حيث إن المشركين ليسوا على علم ولا هدى ليعلم رسول الله ﷺ أنه ملطوف به في رسالته[3].

1- المجتبى من مشكل إعراب القرآن: 1178/3.

2- الجدول في إعراب القرآن الكريم:150/25،151.

3-التحرير والتنوير:346/25.

-﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا لأن خبرهم العجيب يثير سؤالا في نفس سامعه عن جزاء الله إياهم على فعلهم، وهذا جواب فيه إجمال لتهويل ما سيقضى به بينهم في الخير والشّر لأنّ الخلاف يقتضي محقا ومبطلا[1].

-﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾: قال الراغب: استعير اسم الشريعة للطريقة الإلهية تشبيها بشريعة الماء قلت: ووجه الشبه ما في الماء من المنافع وهي الري والتطهير[2].

-قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾:أي هذا القرآن بَصائِرُ لِلنَّاسِ جعل ما فيه من معالم الدّين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب. كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضّلالة، ورحمّة من العذاب لمن آمن وأيقن[3].

- طباق السلب: ﴿ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الجاثية: 18[4].

الفرع الثالث: القراءات.

- (سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ): فقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بالنّصب وقرأ الباقون بالرّفع[5] .

قَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ وَحَفْص(سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ): بِالنّصب جَعَلُوهُ الْمَفْعُول الثَّانِي من نجعلهم الْهَاء وَالْمِيم الْمَفْعُول ، وَإِن جعلت(كَالَّذِينَءَامَنُوا): الْمَفْعُول الثَّانِي ، نصبت :(سَوَاءً)على الْحَال ، وترفع (مَّحْيَاهُمْ): بِمَعْنى استوا محياهم ومماتهم وَالْمعْنَى أحسبوا أَنّ نجعلهم سَوَاء محياهم ومماتهم أَي؛ أَن يُعْطوا فِي الْآخِرَة كَمَا أعْطوا فِي الدُّنْيَا ،وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: (سَوَاءٌ)بِالرَّفْع جَعَلُوهُ مُبْتَدأ وَمَا بعده خَبرا عَنهُ ، قَالَ مُجَاهِد : قَوْله : (سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ)أَي: يَمُوت الْمُؤمن على إِيمَانه وَيبْعَث عَلَيْهِ، وَيَمُوت الْكَافِر على كفره، وَيبْعَث عَلَيْهِ. وَهَذَا التَّفْسِير يدل على هَذِه الْقِرَاءَة[6].

1- التحرير والتنوير:347/25.

2- التحرير والتنوير:348/25.

3- الكشّاف: 4/ 289.

4- صفوة التفاسير: 176/3.

5- النّشر في القراءات العشر لشمس الدّين ابن الجزري،تحقيق: علي محمّد الضبّاع ، (د-ط)، المطبعة التجارية الكبرى: تصوير دار الكتاب العلمية،بيروت،لبنان، (د-ت):372/2.

6- حجّة القراءات: 661.

المطلب الرابع: الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات.

الفرع الأول: الشرح التفصيلي.

ابتدأ الله في هذا المقطع امتنانه على بني اسرائيل الذين جحدوا نعمه وكفروا بها فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾والكتاب: التوراة.والحكم يصح أن يكون بمعنى الحكمة، أي: الفهم في الدّين وعلم محاسن الأخلاق ،كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ مريم: 12، يعني يحيى، ويصح أن يكون بمعنى السيادة، أي: أنّهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم، ولا تحكمهم أمّة أخرى، كقوله تعالى:﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾المائدة: 20، والنّبوءة أن يقوم فيهم أنبياء، ومعنى إيتائهم هذه الأمور الثلاثة: إيجادها في الأمّة وإيجاد القائمين بها، لأنّ نفع ذلك عائد على الأمّة جمعاء،... فكان كلّ فرد من الأمّة كمن أوتي تلك الأمور، وأمّا رزقهم من الطّيبات فبأن يسّر لهم امتلاك بلاد الشّام، والطّيبات: هي التي تطيب عند النّاس، وتحسن طعماً ومنظراً ونفعاً وزينةً. وأمّا تفضيلهم على العالمين: فبأن جمع الله لهم بين استقامة الدّين والخلق، وبين حكم أنفسهم بأنفسهم، وبثّ أصول العدل فيهم، وبين حسن العيش والأمن والرّخاء، والمراد ب:"العالمين": أمم زمانهم وكلّ ذلك إخبار عمّا مضى من شأن بني إسرائيل في أول أمرهم، لا عمّا آل إليه أمرهم، بعد أنّ اختلفوا واضمحل ملكهم ونسخت شريعتهم، و بينات:فالبيّنة: الحجّة الظاهرة، أي: آتيناهم حجّجا، أي: علمناهم بواسطة كتبهم، وبواسطة علمائهم حجج الحقّ والهدى التي من شأنها أن لا تترك للشك والخطأ إلى نفوسهم سبلاً إلاّ سدّتها[1].﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾أي: شرائع واضحات في الحلال والحرام، أو معجزات ظاهرات،﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾أي:فما وقع الاختلاف بينهم في ذلك الأمر إلاّ بعد مجيء العلم إليهم ببيانه وإيضاح معناه، فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجباً لثبوته،﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾من أمر الدّين، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾فالمراد بالشّريعة هنا ما شرعه الله لعباده من الدّين،وقيل: جعلناك يا محمّد على منهاج واضح من أمر الدّين يوصلك إلى الحقّ، فاتبعها فاعمل بأحكامها في أمّتك،

1- التحرير والتنوير: 345/25.

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ :توحيد الله وشرائعه لعباده، وهم كفّار قريش ومن وافقهم، ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ أي: لا يدفعون عنك شيئا ممّا أراده الله بك إن اتبعت أهواءهم ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ أي: أنصار ينصر بعضهم بعضا. قال ابن زيد: إنّ المنافقين أولياء اليهود ﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ أي: ناصرهم، والمراد بالمتقين الذين اتقوا الشّرك والمعاصي[1] . ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ الجاثية: 20-21، هذا أي: القرآن، ﴿ بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ ﴾ أي: يبصرون به الحقّ من الباطل، ويعرفون به سبيل الرّشاد. قال الزمخشري[2]: جعل ما فيه من معالم الدّين والشّرائع، بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحاً وحياة...،﴿ وَهُدًى ﴾ أي: من الضّلالة، "وَرَحْمَةٌ "أي: من العذاب؛ لمن آمن وأيقن﴿ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾أي: يطلبون اليقين.في آية: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ قال الكلبي: نزلت هذه الآية في علي وحمزة وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، وفي ثلاثة من المشركين: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم على شيء، ولو كان ما تقولون حقا لكان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة، كما أنا أفضل حالا منكم في الدنيا، فأنكر الله عليهم هذا الكلام، وبين أنه لا يمكن أن يكون حال المؤمن المطيع مساويا لحال الكافر العاصي في درجات الثواب، ومنازل السّعادات[3].

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي: اكتسبوا سيئات الأعمال﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: من عدم والمعنى إنكار أن يستوي التفاوت. قال الزمخشري[4]: "المسيئون والمحسنون محياً، وأن يستووا مماتاً. لافتراق أحوالهم أحياء، حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات، وأولئك على ركوب المعاصي. ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرّحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه، وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعدّ لهم.﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾أي: بالحكمة والصّواب". قال ابن جرير[5]:"أي للعدل والحقّ، لا لما حسب هؤلاء الجاهلون بالله، من

1- فتح القدير: 9/5.

2- الكشّاف:289/4.

3 - مفاتيح الغيب لأبو عبد الله فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط:3 - 1420هـ):676/27.

4- الكشّاف:290/4.

5- تفسير الطبري:91/21.

التّسوية بين الأبرار والفجّار، لأنّه خلاف العدل والإنصاف ﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾أي في جزاء أعمالهم"[1].

الفرع الثاني: ما يستفاد من الآيات

-امتن الله على بني إسرائيل بنعما خاصّة وهي إنزال الكتاب، الملك، ورزقهم من الطّيبات، وتفضيلهم على العالمين وبعدها اختلفوا فيما بينهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة في ذلك.

-ثمّ امتن على رسوله بنعمة الإسلام، وأمره باتباعه ويعرض عن اتباع أهواء الذين لايعلمون.

-بين الله تعالى أنّ المصير ليس كمن اجترح السيئات كمن ءامن وعمل صالحاً لأنّيوم القيامة ستجزئ كلّ نفس بما كسبت.

- واعلم أن هذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ وإن كان موردها في تخالف حالي المشركين والمؤمنين فإن نوط الحكم فيها بصلة الذين اجترحوا السيئات يجعل منها إيماء إلى تفاوت حالي المسيئين والمحسنين من أهل الإيمان وإن لم يحسب أحد من المؤمنين ذلك وعن تميم الداري أنّه بات ليلة يقرأ هذه الآية ويركع ويسجد ويبكي إلى الصباح. وروي مثل ذلك عن الربيع بن خيثم وعن الفضيل بن عياض: أنّه كان كثيرا ما يردد من أول الليل هذه الآية ثم يقول: ليت شعري من أي الفريقين أنت؛ يخاطب نفسه فكانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين[2].

1-محاسن التأويل،لمحمد جمال الدين القاسمي ،المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت (ط:1 - 1418 ه):430/8.

2- التحرير والتنوير:355/25.

المبحث الخامس:تحليل الآيات من الآية الثالثة والعشرون إلى الآية التاسعة والعشرون.

بعد أنّ بين الله النّعمة بإنزال الشرائع، أعقبه بحال من أعرض عن هذا واتخذ إلاهه هواه، ثمّ بين حال من يعترف إلاّ بالحياة الدنيا ولا حياة بعدها ، واحتجوا بحجج واهية في ذلك، وخوفهم القرآن باليوم الذي تجثوا فيه الخلائق على الرّكب **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الجاثية: 23-29.

المطلب الأول: سبب النّزول الوارد في هذا المقطع

-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الجاثية:23.

ذكر ابن جرير الطّبري [1] سبباً لنزول هذه الآية فقال: عن سعيد بن جبير ، قال: كانت قريش تعبد العُزّى، وهو حجر أبيض، حينا من الدّهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأوّل وعبدوا الآخر، فأنزل الله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [1].

1- محمد بن جرير الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الائمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم مولده بآمل

وقال مقاتل في تفسير الآية : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ ، قال؛يعني الحارث بن قيس السّهمي اتخذ إلهه هوى،وكان من المستهزئين، وذلك أنّه هوى الأوثان فعبدها[2].

أمّا نزول باقي الآية فكان كما ذكره القرطبي[3] في تفسيره: وحكى النقاش أنّها نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف. وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنّه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد ابن المغيرة، فتحدثا في شأن النّبي ﷺ، فقال أبو جهل: والله إني لأعلم إنّه لصادق! فقال له مه! وما دلك على ذلك!؟ قال: يا أبا عبد شمس، كنّا نسميه في صباه الصادق الأمين، فلمّا تم عقله وكمل رشده، نسميه الكذاب الخائن!! والله إنّي لأعلم إنّه لصادق! قال: فما يمنعك أنّ تصدقه وتؤمن به؟ قال: تتحدث عنّي بنات قريش أنّي قد اتبعت يتيم أبي طالب من أجل كسرة ، واللّات والعزّى إن اتبعته أبدا. فنزلت" وختم على سمعه وقلبه"[4].

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآية 24.

ذكر في هذه الآية ابن جرير[5]: عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ قال: كان أهل الجاهلية يقولون : إنّما يهلكنا الليل والنّهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله في كتابه: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾قال: فيسبون الدّهر، فقال الله تبارك وتعالى "يؤذيني ابن آدم يسب الدّهر، وأنا الدّهر بيدي الأمر أقلب الليل والنّهار"-[6].

سنة أربع وعشرين ومائتين ومات عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة.(طبقات المفسرين للسيوطي ص97).

1- تفسير الطبري:93/21.

2- تفسير مقاتل بن سليمان:839/3.

3- محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة 671هـ. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن و التذكار في أفضل الأذكار والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة وغير ذلك. (الأعلام للزركلي322/5).

4-الجامع لأحكام القرآن ،لأبو عبد الله محمد شمس الدين القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة،(ط:2، 1384هـ - 1964 م):170/16.

5- تفسير الطبري:97/21.

6- أخرجه الحاكم في مستدركه،كتاب التفسير،باب تفسير سورة حم الجاثية وعند أهل الحرمين حم الشريعة، برقم: 3690، 2 /491، علّق الذهبي : هذا بغير هذه السياقة وهو صحيح على شرطهما.

المطلب الثاني:معاني المفردات

-**هَوَىٰهُ** : هو ميل النّفس إلى الشّهوة. ويقال : ذلك للنّفس المائلة إلى الشّهوة، وقيل: سمّي بذلك لأنّه يَهْوِي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية، وفي الآخرة إلى الهَاوِيَةِ، وَالْهُوِيُّ: سقوط من علو إلى سفل، وقد عظّم الله تعالى ذمّ اتّباع الهوى، فقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾الجاثية: 23[1].

-**وَخَتَمَ** : طَبَعَ، أي أثّر في الشمع أو الطين أو نحوِه للسدّ أو العلامة أو لكليهما. فخَتَمَ على الكتاب: طَبَعَ عليه بالخاتم، وعلى فم الوِعاء: طبع عليه بعد ما سدّه لكيلا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء. وبالتجريد خَتَمَ على الشّيء: أحكم سدّه. فالختم على القلب والسّمع يراد به أن لا يدخل فيهما ما كان ليدخل فيهما لولا هذا الختم. والختم على فم الإنسان يراد به أن لا يخرج منه كلام، كما قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ يس:65.وجاء الطبع على البصر أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ النحل:108[2].

-**غِشَٰوَةٌ** : الغِشاوة: مَا غشي الْقلب من الطَّبْع، والغشاء: الغطاء، وغاشية السّرج: غطاؤه، وَالرجل يستغشي ثوبَه كي لَا يسمع وَلَا يرى ، وَقَالَ الله جلَّ وَعز: ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ الْبَقَرَة: 7،... وكلُّ مَا كَانَ مُشتمِلاً على الشَّيْء فَهُوَ مبنيٌّ على فِعالةٍ نَحْو: الغِشَاوة والعِمامةِ والعصابة[3].

-**ٱلدَّهْرُ** : الزمان.

قال الشاعر: إنَّ دَهْراً يَلُفُّ شَمْلي بِجُمْلٍ * لَزَمانٌ يَهُمُّ بالإحْسانِ[4]

ويجمع على دهور،ويقال: لا آتيك دَهْرَ الدَّاهرين، أي أبداً[1].

1- المفردات في غريب القرآن: 849.

2- مفردات القرآن – نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية لعبد الحميد الفراهي الهندي ،تحق يق: د/ محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي،(ط:1، 2002 م):349.

3- تهذيب اللغة،للأزهري،المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط:1، 2001م):145/8.

4- نُسب هذا البيت: لحسّان بن ثابت : ذكر في أساس البلاغة،لأبو القاسم محمود الزمخشري ،تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،(ط:1، 1419 هـ - 1998 م):175/2.

-**جَاثِيَةً** : جَثَا على ركبتيه، يَجْثُو جُثُوّاً وجِثِيّاً فهو جَاثٍ، وجمعه: جُثِيّ ، يصح أن يكون جمعا ، والجاثية؛ في قوله عزّ وجل:﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ الجاثية: 28[2]. وجاثية اسم فاعل من مصدر الجثو بضمتين وهو البروك على الركبتين باستئفاز، أي بغير مباشرة المقعدة للأرض، فالجاثي هو البارك المستوفز وهو هيئة الخضوع[3].

-**نَسْتَنسِخُ** : نسخ : (نَسخه) بِهِ، ينسَخُه، وانتَسَخَه: (أَزَالَهُ). والشّيءُ يَنسَخ الشّيْءَ نَسْخاً، أَي يُزِيله ويكون مكانَه. والعرب تقول: نَسَخَت الشَّمسُ الظِّلَّ وانتَسَخَتْه: أَزالَتْه، والمعنَى أَذْهَبَت الظِّلَّ وَحلَّتْ مَحلَّه، وهو مَجازٌ. ونَسْخُ الآيَةِ بالآيَةِ: إِزالَةُ حُكْمِها. والنَّسْخ: نَقْلُ الشَّيءِ من مَكانٍ، إِلى مَكَانٍ وهو هو . وفي التنزيل: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾الجاثية:29، أَي نستنسِخ ما تَكتُب الحَفَظَةُ فيثبتُ عند الله تعالى[4].

المطلب الثالث:المناسبة بين الآيات

ولما بيّن غاية البيان أنّه الإله وحده بما له من الإحاطة بجميع صفات الكمال، وأنّه لا بد من جمعه الخلائق ليوم الفصل للحكم بينهم بما له من الحكمة والقدرة، وحقر الهوى ونهى عن اتباعه، وكانوا هم قد عظموه بحيث جعلوه معبوداً، فلزم من ذلك تحقيرهم الإله، ولم يرجعوا عن ضلالهم، تسبب عن ذلك التعجيب ممّن يظن أنّه يقدر على رد أحد منهم عن غيه بشيء من الأشياء فقال: {أفرءيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون *}. ولما كان التقدير للدلالة على الختم على مشاعرهم، فقد قالوا مع اعترافهم بتفرده تعالى بخلقهم ورزقهم وخلق جميع الموجدات في إنكار الوحدانية: إنّ له شركاء، عطف عليه قوله: {وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدّهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون *}. ولما كان هذا من قولهم عجباً، زاده عجباً بحالهم عند سماعهم للبراهين القطعية، فقال عاطفاً على «قالوا» : {وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن

1- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،(ط:4، 1407 هـ - 1987 م):661/2.

2- المفردات في غريب القرآن: .187.

3-التحريروالتنوير:367/25.

4- تاج العروس: 356،355/7.

قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين *}.ولما كان سبحانه وتعالى إنما يقبل الإيمان عند إمكان تصوره، وذلك إذا كان بالغيب لم يجبهم إلى إحياء آبائهم إكراماً لهذه الأمة لشرف نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام لأن سنته الإلهية جرت بأن من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات أهلكه كما فعل بالأمم الماضية، فرفعهم عن الحس إلى التدريب على الحجج العقلية فقال آمراً له ﷺ بالجواب بقوله تعالى: {قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر النّاس لا يعلمون *}.ولما دل على قدرته على الإعادة بهذا الدليل الخاص الذي تقديره: فالله الذي ابتدأ خلقكم من الأرض على هذا الوجه قادر على إعادتكم، عطف عليه دليلاً آخر جامعاً فقال تعالى: {ولله ملك السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون *}. أي من الجاثين {تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون *}.ولما أخبر بالجزاء، بين كيفية ما به يطبق بين كتاب الإنزال وكتاب الأعمال، فما حكم به كتاب الإنزال أنفذه الكبير المتعال، فقال مشيراً إلى كتاب الإنزال بأداة القريب لقربه وسهولة فهمه: {هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون *}[1].

المطلب الرّابع :الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات.

الفرع الأول:الجوانب النّحوية.

- ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (أَفَرَءَيْتَ) جملة مستأنفة، وهي بمعنى: أخبرني، وتنصب مفعولين، الأول: مَنِ وهو اسم موصول، والثاني: جملة مقدرة بعد (غِشَٰوَةً) أي: أيهتدي؟، و (ٱتَّخَذَ) ينصب مفعولين: (إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ). الجار (عَلَىٰ عِلْمٍ) متعلق بحال من لفظ الجلالة، والجار (عَلَىٰ بَصَرِهِۦ) متعلق بالمفعول الثاني، وجملة (فَمَن يَهْدِيهِ)مستأنفة، وكذا جملة (تَذَكَّرُونَ)[2].

- ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾الجاثية:25 جملة الشرط مستأنفة، (وَإِذَا) ظرفية شرطية تتعلق بمعنى الجواب ولا تتعلق بجوابها (مَّا كَانَ) ؛ لأنَّ (ما) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. وقد خالفت (إذا) أدوات الشرط حيث لم تقترن الفاء بجوابها، إن نُفي بـ (ما) بخلاف غيرها فلا بُدَّ من الفاء نحو:"إن تزرنا فما جفوتنا"،بَيِّنَٰتٍ

1-نظم الدرر للبقاعي:18/93-106.

2 المجتبى من مشكل إعراب القرآن:3/1180.

حال من (ءَايَٰتُنَا)، والمصدر المؤول أَن قَالُواْ اسم (كان)، و حُجَّتَهُمْ) خبر كان، وجملة(إِن كُنتُمْ) مستأنفة، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله[1].

- ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الجاثية:28؛ جملة وَتَرَىٰ معطوفة على جملة (يَخْسَرُ)، (جَاثِيَةً)حال من (كُلُّ أُمَّةٍ) المخصصة بالإضافة، والرؤية بصرية، (كُلُّ) مبتدأ، وجملة (تُدْعَىٰ) خبر، (ٱلْيَوْمَ) ظرف متعلق بـ (تُجْزَوْنَ) ، وجملة (تُجْزَوْنَ) مقول القول لقول مقدر، «ما» مفعول ثانٍ[2].

الفرع الثاني:الجوانب البلاغية.

-التشبيه المقلوب: في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ وضع قوله: اتخذ إلهه هواه، بدلاً من قوله: هواه إلهه، فقد جعل هواه معبوده يخضع له ويطيعه، كما يخضع العابد لمعبوده[3]. فعطف بالفاء الاستفهام المستعمل في التعجيب، وجعل استفهاما عن رؤية حالهم، للإشارة إلى بلوغ حالهم من الظهور إلى حد أن تكون مرئية ... وإلهه يجوز أن يكون أطلق على ما يلازم طاعته حتى كأنه معبود فيكون هذا الإطلاق بطريقة التشبيه البليغ، أي اتخذ هواه كإله له لا يخالف له أمرا[4].

- قال:﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾وفرع على ذلك استفهام عن عدم تذكر المخاطبين لهذه الحقيقة، أي كيف نسوها حتى ألحوا في الطمع بهداية أولئك الضالين وأسفوا لعدم جدوى الحجة لديهم وهو استفهام إنكاري[5].

- ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾للدلالة على هذا التطور عبر بالفعل المضارع، أي تتجدد فينا الحياة والموت[6].

- ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ يَنْطِقُ: استعارة تصريحية، أي؛ يشهد عليكم بالحقّ، وهذا أبلغ من شهادة اللسان، لأنّ شهادة الكتاب ببيانه أقوى من شهادة الإنسان بلسانه.

---

1 المجتبى من مشكل إعراب القرآن: 1181/3.

2 المجتبى من مشكل إعراب القرآن: 1182/3.

3 الجدول في الاعراب: 153/25،154.

4-التحرير والتنوير:357/25.

5- التحرير والتنوير:359/25.

6- التحرير والتنوير:361/25.

الفرع الثالث: القراءات

– (غِشَٰوَةً):فقرأ حمزة والكسائي وخلف (غَشْوة) بفتح الغين وإسكان الشين من غير ألف. وقرأ الباقون بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها[1].

–﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ خفف الذال عاصم، وشدّد الجمهور[2].

– (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا): فقرأ يعقوب بنصب اللام وقرأ الباقون برفعها[3] .

المطلب الخامس:الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات.

الفرع الأول:الشرح التفصيلي.

فقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ قال ابن عبّاس:" ذلك الكافر اتخذ بغير هدىً من الله ولا برهان"، ثمّ قال تعالى: ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾أي: وخذّله الله عن طريق الحقّ في سابق علمه على علم منه ، بأنّه لا يهتدي ولو جاءته كلّ آية. ثمّ قال تعالى: جل ذكره: ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ أي: وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وما ينتفع به، وطبع على قلبه فلا يعي شيئاً من الخير، وجعل على بصره غ شاءً أن يبصر به حجّج الله عزّ وجل، يعني: بصر قلبه. فهو لا يهتدي لخير، نسأل الله ألّا يخذلنا عما فيه رشدنا عنده.ثمّ قال: ﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ أي: فمن يوفقه لإصابة الحقّ بعد إضلال الله عزّ وجل له، وخذلانه إياه. ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أيّها النّاس ما يذكر لكم وما توعظون به [4].ثمّ يخبر تعالى عن قول الدّهرية من الكفّار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي: ما ثمّ إلا هذه الدّار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثمّ معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو ا العرب المنكرون للمعاد، ولهذا قالوا :﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾، قال الله تعالى:﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾أي: يتوهمون ويتخيلون[5].

فأمّا الحديث الصحيح، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم؛ يسبّ الدّهر وأنا الدّهر، بيدي الأمر، أقلب ليله

1– النّشر في القراءات العشر لابن الجزري: 372/2.

2– البدور الزّاهرة في القراءات للقاضي:294.

3–النّشر في القراءات العشر لابن الجزري: 372/2.

4- الهداية إلى بلوغ النهاية:6788/10.

5– تفسير ابن كثير:268/7.

ونهاره"[1] وفي رواية: "لا تسبوا الدّهر، فإنّ الله هو الدّهر" [2].قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله، عليه الصّلاة والسّلام: "لا تسبوا الدّهر؛ فإنّ الله هو الدّهر": كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدّة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدّهر. فيسندون تلك الأفعال إلى الدّهر ويسبونه، وإنّما فاعلها هو الله عز وجل فكأنّهم إنّما سبوا الله عزّ وجل؛ لأنّه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهي عن سبّ الدّهر بهذا الاعتبار؛ لأنّ الله هو الدّهر الذي يعنونه، ويسندون إليه تلك الأفعال.هذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدّهم الدّهر من الأسماء الحسنى، أخذاً من هذا الحديث[3].

(وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا) من القرآن؛ الدّالة على قدرتنا على بعثهم وإعادتهم ،(مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ) : حيال ذلك (إِلَّآ أَن قَالُواْ) معارضين مناوئين،(ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ) : السّابقين أحياء(إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) : فيما تزعمونه من بعثنا بعد موتنا ،(قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ): ابتداء (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ)عند انتهاء آجالكم (ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ) أحياء كما كنتم في الدنيا (لَا رَيْبَ) لا شك (فِيهِ): في يوم القيامة، (يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ) : الكافرون،(وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) : مجتمعة، باركة على الرّكب؛ من فرط الذل والهوان، (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا): إلى صحائف أعمالها[4]،(هَٰذَا كِتَٰبُنَا) : دِيوَان الْحَفَظَة، (يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ): نثبت ونحفظ (مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾) [5].

الفرع الثاني:ما يستفاد من الآيات

1-الهداية من الله وحده وأنّ من لم يهده الله فلا هادي له (فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾).

1-أخرجه البخاري،كتاب التفسير،باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: 24] الآيَة،برقم:4826،133/6، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت،ط:3 ، 1407 – 1987.

2- أخرجه مسلم، كتاب ألفاظ من الأدب وغيرها، باب النّهي عن سب الدهر، برقم:4،2246/1763،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

3- تفسير ابن كثير:269/7.

4- أوضح التفاسير لمحمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ، المطبعة المصرية ومكتبتها ،(ط:6، 1383 هـ - 1964م):614.

5- تفسير الجلالين: 664.

2-تكذيب الدّهرية وأنّ أدلته تعالى على قدرته الفائقة وإمكان البعث خلق السّموات والأرض وملكها والتّصرف بها، ويوم تقوم القيامة يظهر خسران الكافرين الجاحدين.

3- الحذر من أنّ يتبع المسلم الهوى ويعرض عن الحقّ.

4-على المسلم أن يجعل نصب عينيه يوماً ستجثوا فيه الخلائق على الرّكب فيجتهد أن يحسن عمله.

المبحث السادس: تحليل الآيات من الآية الثلاثون إلى الآية السّابعة والثلاثون.

بعد أنّ ذكر الله حال من اتبع هواه واتخذه إلاها من غيره، ذكر في هذا المقطع مصير كلّ عبد حسب عمله في الدنيا ليتميز كلّ فريق عن غيره فقال تعالى :﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ الجاثية: 30-37.

المطلب الأول:معاني المفردات

- فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ: والْكِبْرُ والتَّكَبُّرُ والِاسْتِكْبَارُ تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. وأعظّم التّكبّر؛ التّكبّر على الله، بالامتناع من قبول الحقّ والإذعان له بالعبادة. والاسْتِكْبارُ يقال على وجهين:

أحدهما: أن يتحرّى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب فمحمود.

والثاني: أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن. وهو ما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: 34[1].

1- المفردات في غريب القرآن:697.

-ظَنًّا: الظَّنُّ: اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدّا لم يتجاوز حدّ التّوهّم[1] . وقولهم: إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا معناه: إِنْ نَظُنُّ بعد قبول خبركم إِلَّا ظَنًّا وليس يعطينا خبرا[2].

-سَيِّئَاتُ : والسّيئة: الخطيئة، أصلها سيوئة، فقلبت الواو ياء وأدغمت. وقول سيئ: يسوء. والسّيئ والسّيئة: عملان قبيحان، يصير السّيئ نعتا للذكر من الأعمال والسّيئة الأنثى. وأساء الشّيء: أفسده ولم يحسن عمله[3].

-وَحَاقَ: أي أحاط بهم العذابُ الذي هو جزء ماكانوا يستهزءون. كما تقول أحاط بفلان عملهُ وأهلكه جزاء كسبهُ.عن الفرَّاء في قوله: "حاق بهم" هو في كلام العرب عاد عليهم ما استهزءُوا وجاء في التفسير أحاطَ بهم ونزل بهم[4].

-ٱلْكِبْرِيَآءُ: الرِّفْعَة في الشَّرَف. الكِبْر: العَظَمَة والتَّجَبُّر كالكِبْرِياء. وقال ابنُ الأنباري: الكِبْرِياء: المُلْك، في قوله تعالى:﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يونس:78، أي المُلْك.

المطلب الثاني: المناسبة بين الآيات.

ولما صرّح بالمبطلين حسب ما اقتضاه الحال كما تقدم، وأشار إلى المحقين، صرّح بما لوح إيه من أمر المحقين وعطف عليهم أضدادهم، فقال بادئاً بهم على طريق: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ ﴾ الجاثية:30. ولما كان هذا الستر سبباً واضحاً في تبكيتهم قال: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾الجاثية:31، والآية: ذكر الإدخال في الرّحمة أولاً دليلاً على الإدخال في اللعنة ثانياً، وذكر التبكيت ثانياً دليلاً على التشريف أولاً، وسره أن ما ذكره أدلّ على شرف الولي وحقارة العدو: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الجاثية:32. ولما وصلوا إلى حد عظيم من العناد، التفت إلى أسلوب الغيبة إعراضاً عنهم إيذاناً بشديد الغضب فقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ

1- المفردات في غريب القرآن:539.

2-تفسير ابن عطية:90/5.

3- لسان العرب: 97/1.

4- تهذيب اللغة: 82/5.

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الجاثية:33" و﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الجاثية:34.﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الجاثية:35.ثمّ قال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الجاثية:36.ولما أفاد ذلك غناه الغنى المطلق وسيادته وأنّه لا كفوء له، عطف عليه بعض اللوازم لذلك تنبيهاً على مزيد الاعتناء به لدفع ما يتوهمونه من ادعاء الشركة التي لا يرضونها لأنفسهم فقال: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ الجاثية:37"[1].

المطلب الرابع: الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات.

الفرع الأول :الجوانب النّحوية.

-قالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾: يقرأ بالرفع على الابتداء، وما بعده الخبر، وقيل: هو معطوف على موضع «إن» وما عملت فيه. ويقرأ بالنصب عطفا على اسم «إن».

قوله تعالى: (إن نظن إلا) تقديره: إن نحن إلا نظن ظنا، فإلا مؤخرة، ولولا هذا التقدير: لكان المعنى: ما نظن إلا نظن. وقيل: هي في موضعها؛ لأن نظن قد تكون بمعنى العلم والشك؛ فاستثنى الشك؛ أي ما لنا اعتقاد إلا الشك[2].

-قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾.قَوْلُهُ تَعَالَى: (فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ): يجوز أن يكون حالا من الكبرياء، والعامل فيه الاستقرار؛ وأن يكون ظرفا، والعامل فيه الظرف الأول أو الكبرياء؛ لأنها بمعنى العظمة[3].

1- نظم الدرر: 118/18.

2- التبيان في إعراب القرآن ،أبو البقاء عبد الله العكبري ،المحقق : علي محمد البجاوي،(د-ط)، عيسى البابي الحلبي وشركاه،(د-ت):1153/2.

3- التبيان في إعراب القرآن: 1153/2.

الفرع الثاني:الجوانب البلاغية.

– افتتح ببيان حال الذين كفروا بما يقال لهم من التوبيخ والتقرير من قبل الله تعالى، فقوله: أفلم تكن آياتي مقول قول محذوف لظهور أنّ ذلك خطاب صادر من متكلم من جانب الله تعالى فيقدر فيقال لهم على طريقة قوله: "وقيل اليوم ننساكم" [الجاثية: 34][1] .

– المجاز المرسل: في قوله تعالى (فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ) الرّحمة لا يحل فيها الإنسان لأنّها معنى من المعاني وإنّ ما يحل في مكانها ومكان الرّحمة هو الجنّة أي:فيدخلهم في جنته، فاستعمال الرّحمة في مكانها مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل، فعلاقته محلية وكذلك المجاز المرسل: في قوله تعالى (وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ) .النّسيان هو سبب الترك، وإذا نسي شيئا فقد تركه وأهمله تماما، فعلاقة هذا المجاز سببية. وأمّا الالتفات: ففي قوله تعالى :﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا ﴾.فقد التفت من الخطاب إلى الغيبة، للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب، استهانة بهم، أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة النّار[2].

– وقولهم: "وما نحن بمستيقنين": يفيد تأكيد قولهم ما ندري ما السّاعة إن نظن إلّا ظنا، وعطفه عطف مرادف، أي للتشريك في اللفظ. والسين والتاء في بمستيقنين للمبالغة في حصول الفعل[3].

الفرع الثالث: القراءات.

–قرأ حمزة وحده :﴿ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا ﴾بالنّصب وقرأ الباقون "وَالسَّاعَةُ" بالرفع[4]. فالحجّة لمن رفع: أنّ من شرط «إنّ»إذا تمّ خبرها قبل العطف عليها كان الوجه الرفع. ودليله قوله تعالى:﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ التوبة:3.فأمّا حجّة (حمزة) فإنّه عطف بالواو لفظ (السّاعة) لأنّها من تمام حكاية قولهم. وعلى ذلك كان الجواب لهم في قوله: ﴿قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ ﴾[5].

1–التحرير والتنوير:371/25.

2– الجدول في الأعراب:163/25،164.

3- التحرير والتنوير:373/25.

4– المبسوط في القراءات العشر، ، أبو بكر أحمد النيسابوريّ، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي(د–ط)،الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق ،عام النشر: 1981 م:404.

5– الحجّة في القراءات: 326.

المطلب الخامس: الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات.

الفرع الأول: الشرح التفصيلي.

ابتدئ الله تعالى في هذا المقطع بالتفصيل بوصف حال المؤمنين ، مع أنّ المقام للحديث عن المبطلين في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ الجاثية:27؛ تنويها بالمؤمنين وتعجيلاً لمسرّتهم وتعجيلاً لمساءة المبطلين ، لأنّ وصف حال المؤمنين يؤذن بمخالفة حال الآخرين لحالهم، والتعبير ب:يدخلهم في رحمته: شامل لما تتصّوره النّفس من أنواع الكرامة والنّعيم إذ جعلت رحمة الله بمنزلة المكان يدخلونه.

وافتتح ببيان حال الذين كفروا، بما يقال لهم من التوبيخ والتقرير من قبل الله تعالى، والمراد بالآيات القرآن، أي؛ فاستكبرتم على الأخذ بها، ولم تقتصروا على الاستكبار، بل كنتم قوما مجرمين، أي؛ لم تفدكم مواعظ القرآن صلاحاً لأنفس كم بما سمعتم منه. وإقحام قوماً دون الاقتصار على: وكنتم مجرمين، للدلالة على أنّ الإجرام صار خلقاً لهم وخالط نفوسهم حتّى صار من مقومات قوميتهم وقد قدمناه غير مرّة [1]. ويقال لهم حينئذ:(وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ): الذي وعد عباده، أنّه محييهم من بعد مماتهم، وباعثهم من قبورهمّ(حَقٌّ وَالسَّاعَةُ): التي أخبرهم أنّه يقيمها لحشرهم، وجمعهم للحساب والثّواب على الطّاعة، والعقاب على المعصية، آتية ،(لَا رَيْبَ فِيهَا) يقول: لا شكَ فيها، يعني في السّاعة، والهاء في قوله(فِيهَا) من ذكر السّاعة. ومعنى الكلام: والساعة لا ريب في قيامها، فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله، واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها،(قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ): تكذيبا منكم بوعد الله جلّ ثناؤه، وردًا لخبره، وإنكارًا لقُدرته على إحيائكم من بعد مماتكم، وقوله(إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا)يقول: وقلتم ما نظنّ أنّ السّاعة آتية إلّا ظنًّا(وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) أنّها جائية، ولا أنّها كائنة [2]، يقول تعالى ذكره: وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال، يقول: ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرءوا كتب أعمالهم التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا،(وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول: وحاق بهم من عذاب الله حينئذ ما كانوا به يستهزئون، إذ قيل لهم: إنّ الله مُحِلُّهُ بمن كذّب به على سيئات ما في الدنيا عملوا من

1- التحرير والتنوير: 371/25.

2- الطبري: 107.2/1

الأعمال.ويقول تعالى ذكره: وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم: اليوم نترككم في عذاب جهنّم، كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا . وقوله: ﴿ وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ العنكبوت:25 يقول: ومأواكم التي تأوون إليها نار جهنّم ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ العنكبوت: 25 يقول: وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله، ولا منتصر ينتصر لكم ممّن يعذبكم، فيستنقذ لكم منه[1].قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾ أَيْ إِنَّمَا جَازَيْنَاكُمْ هَذَا الْجَزَاءَ لِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ حُجَجَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ سُخْرِيًّا تسخرون وتستهزءون بِهَا ، ﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ ، أَيْ خَدَعَتْكُمْ فَاطْمَأْنَنْتُمْ إليها فأصبحتم من الخاسرين، ولهذا قال عز وجل: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ أَيْ مِنَ النَّارِ،﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أَيْ لَا يُطْلَبُ مِنْهُمُ الْعُتْبَى بَلْ يُعَذَّبُونَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عِتَابٍ كَمَا تَدْخُلُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عذاب ولا حساب، ثمّ لما ذكر تعالى حُكْمَهُ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، قَالَ: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ ﴾ أَيِ الْمَالِكِ لَهُمَا وَمَا فِيهِمَا، ولهذا قال ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ثمّ قال جلّ وعلا: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي السُّلْطَانَ أَيْ هُوَ الْعَظِيمُ الْمُمَجَّدُ الَّذِي كَلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لَدَيْهِ فَقِيرٌ إِلَيْهِ ،وَقَوْلُهُ تعالى:وَهُوَ الْعَزِيزُ أَيِ الَّذِي لَا يُغَالَبُ وَلَا يُمَانَعُ الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ تعالى وتقدس لا إله إلا هو[2].

الفرع الثاني:ما يستفاد من الآيات

- إن ثواب المؤمنين الذين عملوا صالح الأعمال، فأدوا الفرائض، واجتنبوا المعاصي والمنكرات هو دخول جنات الخلد والنعيم.

- إن جزاء الكافرين الذين أشركوا بالله إلها آخر، واقترفوا المعاصي، وتكبروا عن طاعة اللّه وقبول أحكامه واتباع شرائعه هو دخول نار جهنم.

- يوبخ الكفار ويقرّعون على تركهم اتباع آيات اللّه في قرآنه وكتبه المنزلة على رسله والاستماع إليها.

1- الطبري: 108/21.

2-تفسير ابن كثير: 251/7.

الفصل الثاني: الدّراسة

الموضوعية للسورة، وقد تناولت فيه

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية لسورة الجاثية.

المبحث الثاني:. دراسة مقاطع السّورة موضوعياً.

الفصل الثاني: الدّراسة الموضوعية لسورة الجاثية

يُعتبر علم موضوعات السّور من العلوم الجليلة التي تعين قارئ القرآن على التّدبر العميق، وتكشف له من الأسرار ما لا ينكشف له بدونها. ولذلك اعتنى المتأخرين من العلماء غاية العناية على هذا اللون من التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم والذي بصدد تناوله تطبيقيا على سورة الجاثية.

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية لسورة الجاثية

مدخل:

فقد أيّد كثير من علماء السّلف الوَحْدَة الموضوعية في القرآن الكريم؛ ومنهم ابن العربي الذي قال: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم"[1]، والذي يُفهم من كلام ابن العربي أنّه ينبغي في كلّ آية أن يبحث أول كلّ شيء عن كونّها مكمّلة لما قبلها أو بعدها، ثمّ المستقلة ما وجه مناسبتها، لذلك عدّ علماء التفسير الوَحْدَة الموضوعية في سور القرآن الكريم، بالأساس في فَهْم سورة ما.ومن هذا تتضح الوَحْدَة الموضوعية في السّورة بأنّه المحور الذي تدور حوله كامل السّورة وسرّ الفكرة الرّابطة لآياتها فيكون المبحث مقسّم لمطلبين هما: المحور الذي تدور حوله السّورة والمقاطع ومدى ارتباطها بالمحور.

المطلب الأول:المحور التي تدور حوله سورة الجاثية.

من خلال الدراسة التحليلية لسورة الجاثية، ومن خلال التفاسير الموضوعية لسور القرآن، ترجّح لدي أنّ محور موضوعها يدور على تأكيد وترسيخ الإيمان بحقيقة البعث وأنّ يوم القيامة آتي لاشك فيه وذلك لأنّه لايتحقق إيمان الفرد إلاّ بإيمانه باليوم الآخر، ومن خلال العرض الموضوعي للسّورة؛ التي ابتدأت بإثبات وحدانية الله من خلال الآيات الكونية والوعيد بمن كذّب يوم القيامة، ومن ثمّ الرّد على الدّهريين الذين ينكرون مابعد الحياة الدنيا من بعث وحساب والتّعرض في آخر السّورة لمشاهد من يوم القيامة. و هذا إضافة لاسم السّورة

1- الإتقان في علوم القرآن:369/3.

"الجاثية"ذو دلالة بهول يوم القيامة، حيث تجثو الأمم على الرّكب من شدّة ذلك الموقف وكذلك اسمها الإجتهادي "سورة الدّهر" الذي ذكره الألوسي وابن عاشور يدل بوضوح على دحض من يرى بهذا الإعتقاد.

وهذا يثبت إدعائنا إذا تتبعنا السّورة من أولها سنجد أنّها ابتدأت بالحديث عن الآيات الكونية والآيات القرآنية ثمّ اتباعها بالوعيد الشّديد في يوم القيامة للمكذبين بها؛ تارة بالويل وأخرى بالعذاب الأليم ثمّ المهين ومن بعده العظيم وكذلك بالرّجز الأليم، وعندما تحدّث الله عن الذين ءامنوا ذكّرهم بيوم الرّجوع إلى الله، ويستمر السياق في تأكيد هذه الحقيقة ليتعرض الله لنعمته على بني اسرائيل وختم بأنّه سيقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، ثمّ أكّد الله أنّه ليس الذي اجترح السيئات كالذي ءامن في الميزان سواء يوم القيامة وأكدت السّورة كذلك أنّ كلّ نفس ستجزى بما كسبت يوم القيامة، ثمّ تعرّض الله لفئة تدّعي أنّ لاحياة إلاّ هذه ثمّ يفنيهم الدّهر، وأكّد الله على عكس اعتقادهم وأنّه هناك يوم يجمع فيه الخلائق للجزاء على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى، ومن أساء فالجزّاء من جنس العمل.

وخلاصة تتبعنا لآيات السّورة نجد أنّ المحور والهدف الأساسي الذي تدور حوله سورة الجاثية في كلّ مرّة يؤكد على حقيقة موضوع ترسيخ الإيمان بيوم ستجثوا فيه الخلائق على الرّكب من شدّة هوله وهو يوم القيامة. وهذا مايجعلنا نؤكد على أنّه المحور الذي الآية بعد الآية ويرجع سياق السّورة يؤكد عليه إمّا تلميحا وإمّا تصريحا وما أكثره في هذه السّورة والله تعالى أعلى وأعلم.

المطلب الثاني: مقاطع السّورة وارتباطها بالمحور الأساسي لها.

من خلال هذا المطلب يوثق الرّابطة بين محور السّورة والمقاطع التي تمّ تناولها في الفصل التحليلي للسّورة وكي يتسنّى ذلك يجب أنّ نضع لكلّ مقطع فكرته الأساسية المناسبة له، ومن ثمّ بعد ذكر الأفكار واحدة تلو أخرى، يكون هناك علاقة الفكرة الأساسية بالمقطع مع المحور الذي تدور حوله السّورة.وعناوين المقاطع هي كالآتي [1]:من آيات الله الدالة عليه ، وعيد

1- أخذت عناوين المقاطع من تفسير الوسيط لوهبة الزحيلي لسورة الجاثية مع التصرف.

المكذبين بآيات الله، التذكير بنعم الله على عباده، نعمة الشرائع، الوثنية وإنكار البعث بعد الموت، أحوال المؤمنين والكافرين في الآخرة.

كلّ هذه الأفكار التي جاءت بها السّورة تدور حول محورها الأساس، ترسيخ الإيمان بالبعث والحساب، وهذا من بداية السّورة التي تدل على آيات الله الكونية، وبعدها بجزاء المكذبين في يوم الحساب، وبعدها تأخذ السّورة فاصلاً، لتذكر بنعم الله الحسية والمعنوية، وتختمها بمن حالهم ينكرون البعث بعد الموت؛ والذين هم الدّهريون.

لترجع في آخر السّورة لرسم جانب من مشاهد يوم القيامة. وهكذا تبقى السّورة تؤكد تارة عن محورها بالترغيب وأخرى بالترهيب وهذا ما استخلصته من الدراسة التحليلية السّابقة والله تعالى أعلى وأعلم.

المبحث الثاني: دراسة مقاطع السّورة موضوعياً

الدّراسة الموضوعية لسورة ما، لا يخرج أغلبه عن النّقاط الأساسية الآتية كما قال العلماء منها: الوحدة الموضوعية، المناسبة لورود الآيات وسبب نزولها، والمعنى الإجمالي، الأحكام المستنبطة وفقه الواقع، وهذا كلّه لا يتأتى إلاّ بالتّقديم بالتفسير التحليلي.

المطلب الأول: من آيات الله الدّالة عليه

ابتدأت هذه السّورة كمثيلاتها من السّور السّابقة، بالإعجاز البياني الذي جعل العرب يقعون في حيرة من أمرهم، ولايجدون بُداً إلاّ بالإقرار بأنّ هذا القرآن ليس من عند محمّد صلى الله عليه وسلم، فابتدأت بالحروف التي يتكون منها الكلام، ليبين القرآن والله أعلم؛ أنّها هي نفس الحروف التي تتخاطبون بها فيما بينكم، فأتوا بها بمثله، ثمّ ألحقه بالإعجاز الكوني في خلقه، الذي لامناص لهم في هذه الآيات المقروءة في كتابه والآيات الملاحظة في كونه إلاّ الإيمان بالله وحده، المستحق لإفراد العبادة والتوجه له سبحانه؛ كما توضحه مقدمة السّورة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الجاثية: 1-6.

الفرع الأول: ربط المقطع بمحور السّورة.

إنّ الآيات الكونية التي ابتدأت بها سورة الجاثية قال عنها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي [1] في كتابه أضواء البيان [2] "اعلم أنّ هذه البراهين العظيمة في أول سورة الجاثية هذه، ثلاثة منها من براهين البعث التي يكثر في القرآن العظيم الاستدلال بها على البعث كثرة مستفيضة".فيلاحظ من كلام الشيخ أنّ هذه الآيات؛ من الخلق من العدم، وضرب المثال في

1- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، مفسر وأصولي وفقيه سلفي، من تلاميذه: ابن عثيمين، من مؤلفاته: (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن) و (منع جواز المجاز) و (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) و (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) ، ت وفي سنة 1393 هـ(العذب النّمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" من المقدمة في ترجمة الشيخ باختصار" اعتنى به:خالد السبت)

2- أضواء البيان :183/7.

إحياء الأرض بعد موتها، كلّها ذات رابط قوي في خدمة المحور الذي تدور حوله السّورة من حقيقة البعث الذي طالما أنكره مشركي العرب.

الفرع الثاني:المعنى الإجمالي

افتتحت السّورة كما افتتحت سابقتها "سورة الدّخان" ببيان مصدر القرآن الكريم،وإنّ هذا الكتابَ الكريم أنزله الله الحكيمُ في تدبيره لهذا الكون العجيب ولكلّ ماخلق، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

ذكر جل وعلا، في هذه الآيات الكريمة، من أول سورة الجاثية ستة براهين، من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله، وكمال قدرته، وأنه المستحق للعبادة وحده تعالى.

الأول: منها خلقه السماوات والأرض،الثاني: خلقه الناس،الثالث: خلقه الدواب،الرابع: اختلاف الليل والنهار،الخامس: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به،السادس: تصريف الرياح.وذكر أن هذه الآيات والبراهين، إنما ينتفع بها المؤمنون، الموقنون الذين يعقلون عن الله حججه، وآياته.فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم.ولذا قال: {لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ}، ثم قال: {آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}، ثم قال: {آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.وهذه البراهين الستة المذكورة في أول هذه السورة الكريمة، جاءت موضحة في آيات كثيرة جدا كما هو معلوم[1].يشير إليها بآيات الله القرآنية، فتلمس القلوب، وتوقظ العقول، وتخاطب الفطر بلغتها المباشرة، بما بينها وبين هذا الكون من صلة عميقة باطنة، لا يحتاج إيقاظها إلاّ إلى كلمات موحية كآيات هذا القرآن، فمن لم يؤمن بهذه الآيات فلا رجاء في أن يؤمن بسواها، ومن لم توقظه هذه الإشارات الموحية فلن توقظه الصّرخات من غير هذا الصوت المستجاب: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾والخلاصة: من لم يؤمن بكلام اللّه فلن يؤمن بحديث بعده[2].

الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة .

1–القرآن الكريم كلام الله المنزل على محمّد صلى الله عليه وسلم، المعجزة الكبرى الذي به تحدّى العرب أن يأتوا بمثله، فهو مؤلف من نفس الحروف التي يتكلمون بها، وقد ابتدأت

1–أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر بيروت – لبنان ،عام النشر : (1415 هـ - 1995 م):179/7.

2–الظلال لسيد قطب:5/ 3224 .

السّورة ب"حم" وهذه إشارة أو رمز إلى تحدّي العرب، من ناحية أنّ هذا القرآن المعجز مصوغ من مثل حروفهم وهم لايقدرون على شيء منه ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: 88 [1].لذلك حري بمن يستشهد عن الفصيح من لغة العرب أن يجعل كلام الله هو المعلم والميزان له، وهذا لدقيق نظمه وجمال عِباراته وبلاغة جُمله.

2- إثبات وجود اللّه تعالى ووحدانيته وقدرته بأدلّة ستة في ثلاث آيات:

الدليل الأول: من الكون خلق السّموات والأرض فهو يدل على وجود الإله كما ذكر الرّازي[2] من ستة وجوه[3] :

أولا: أنّها أجسام حادثة، وكل حادث له محدث.

ثانيا: أنّها مركبة من أجزاء متماثلة في مواضع متفاوتة عمقاً وسطحاً، ممّا يدل على أنّ وقوع كلّ جزء في موضعه لا بدّ له من مرجح ومخصص.

ثالثا: أنّ الأفلاك والعناصر مع تماثلها في ماهيتها الجسمية ، اختص كل واحد منها بصفة معينة كالحرارة والبرودة، وذلك لا بدّ له من مرجّح.

رابعا: أنّ الكواكب مختلفة في الألوان، واختلافها في تلك الصّفات دليل على أنّ الإله القادر المختار هو الذي خصّص كلّ واحد منها بصفته المعينة.

خامسا: أنّ كلّ فلك مختص بحركة إلى جهة معينة، ومختص بمقدار واحد من السّرعة والبطء، وذلك دليل على مخصّص وهو اللّه وحده.

سادسا- أنّ كلّ فلك مختص بمهمة معينة، فلا بدّ من مخصص فاعل مختار.

1- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من الأساتذة تحت إشراف الدكتور مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، (ط:1 1431هـ/2010م):7/162،163بتصرف.

2- محمد بن عمر التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدّين الرّازي:الإمام المفسر المتكلم، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل: لقب بشيخ الإسلام، أصله من طبرستان، ولد في الري سنة 544هـ، وإليها نسبته، وأتقن علوما كثيرة وبرز فيها، وكان شافعيا أشعريا، ناظر المعتزلة ،وتوفي في هراة سنة 606 هـ ، وخلف تركة ضخمة. من كتبه "مفاتيح الغيب"وله أيضا "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" في علوم البلاغة وبيان إعجاز القرآن"..وغيرها. (معجم المفسرين لنويهض596/2).

3- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبو عبد الله محمد الرّازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،(ط:3 - 1420 هـ): 27/669،670بتصرف

الدليل الثاني والثالث من الأنفس : وهما خلق الإنسان والدّواب بتركيب عضوي عجيب، وخواص وطاقات مادية ومعنوية مذهلة، يدلنا ذلك على أنّ هناك خالقاً مبدعاً لتلك الأنفس وهو اللّه تعالى.

الدليل الرابع والخامس والسادس من الظواهر الكونية : وهي تعاقب الليل والنّهار بنحو دائم وتفاوتهما، وإنزال الأمطار والثلوج لإحياء الأرض بالنبات وتغذية الينابيع والأنهار، وتقليب الرّياح وتغييرها، كلّ ذلك دليل واضح على وجود اللّه القادر القاهر، الحكيم الصنع، البديع الخلق والإتقان.

3– هذه آيات اللّه، أي حجّجه وبراهينه الدّالة على وحدانيته وقدّرته، أنزلها اللّه في قرآنه بياناً متلوا إلى يوم القيامة، مشتملًا على الحقّ الذي لا ريب فيه، والصدق الذي لا باطل ولا كذب فيه، فإذا لم يؤمن النّاس بها، ولم يصدقوا بالقرآن وآياته البيّنات، فلن يجدوا سواها طريقاً للإيمان وتصحيح العقيدة.

ولقد قال اللّه تعالى في هذه الآيات عبارات ثلاثا : أولها يُؤْمِنُونَ ، وثانيها يُوقِنُونَ ، وثالثها يَعْقِلُونَ، والمقصود بها كما قال الرّازي: "إن كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل، وإن كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب الحقّ واليقين فافهموا هذه الدلائل، وإن كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين، فلا أقل من أن تكونوا من زمّرة العاقلين، فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل"[1].

أو أنّ الآيات النفسية تحتاج إلى الإيقان، لقربها من الإنسان، وأمّا الآيات الخارجية الفلكية فيكفي فيها التصديق لبعدها عن الإنسان، وأمّا العلوية فتحتاج إلى النّظر والاستدلال[2].

الفرع الرّابع: الإسقاط على الواقع.

1– يجب على المسلم الحرص على عبادة التفكر وعدم إغفالها فهي من العبادات التي تزيد في يقين العبد وربطه بخالقه كما قيل من بعض الحكماء: تفكر ساعة خير من عبادة في النوافل سنة.

2- يجب على المسلم أن يجعل من الآيات الكونية التي تدل على الخالق قنطرة للدعوة للذين ينكرون الله وينسبون الأفعال إلى الطبيعة.

1- مفاتيح الغيب :671/27.

2- المنير للزحيلي:254/25 .

المطلب الثاني: جزاء المكذبين بآيات الله

بعد أنّ ساق لهم في المقطع الأول الأدلة والبراهين على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وأنّ البعث حقيقة ثابتة؛ في ضرب مثال إحياء الأرض بعد موتها، فلم يؤمنوا واستمروا على كفرهم وعنادهم، وإنكارهم لنبوة محمّد ﷺ، واستعظم تكذيبهم للقرآن،جاءهم في هذا المقطع بوعيد عظيم ،وتهديد شديد كما يوضّحه قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ الجاثية: 7-11.

الفرع الأول: ربط المقطع بمحور السّورة.

إنّ الفكرة الأساسية الذي أكّدها هذا المقطع في كلّ آية منه، لَتُرسخ حقيقة لابدّ بالإيمان بها، ألا وهي حقيقة البعث بعد الموت، ففي المطلع بدأ بالويل للكاذب بآيات الله يوم القيامة، وأردفها في الآية الثانية من المقطع، بالبشارة بالعذاب الأليم، والذي لايكون إلاّ يوم الحساب، ويتواصل الوعيد من الله للذي يستهزئ بالعذاب المهين، ثمّ العذاب العظيم، وفي الأخير بالرّجز الأليم، وكلّها آيات جزاء تذكر بأنّ كلّ من هذه صِفاتُه، استعد للجزاء على فعلتك يوم الحساب بعد الموت.

الفرع الثاني:المناسبة بين المقطع وما قبله.

بعد بيان الآيات للكفّار، وبيان أنّهم إن لم يؤمنوا بها مع ظهورها، فلا يؤمنوا بعدها بشيء. أتبعه تعالى بوعيد عظيم بالعذاب الشّديد لكلّ من كذب بتلك الآيات، ثمّ أصرّ على كفره بها، ثمّ ذكر أنّ جزاءهم جهنّم، دون أن تنفعهم أصنامهم شيئا، وأنّ القرآن العظيم هو الهدى فقط من الضّلالة[1].

وبيّن ابن عاشور: "أنّ الله تعالى أعقب ذكر المؤمنين الموقنين العاقلين المنتفعين بدلالة آيات الله وما يفيده مفهوم تلك الصّفات التي أجريت عليهم من تعريض بالذين لم ينتفعوا بها،

1- تفسير المنير: 256/25.

بصريح ذكر أولئك الذين لم يؤمنوا بها ولم يعقلوها كما وصف لذلك قوله: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الجاثية: 6.وافتتح ذكره بالويل له تعجيلًا لإنذاره وتهديده قبل ذكر حاله"[1].

الفرع الثالث: المعنى الإجمالي.

بعدما تحدث الله تعالى عن المؤمنين المنتفعين بدلالة آيات الله، عرّض بالذين لم ينتفعوا بها، بصريح ذكر أولئك الذين لم يؤمنوا بها ولم يعقلوها . وا بتدأ المقطع الثاني بالوعيد والتهديد،وعمّم الله تعالى بعد ذلك كلّ من كذّبوا بها بعد سماعها، وأصرّوا على كفرهم بها بالويل ، وعظائم الأمور، ثمّ بين أنّ عاقبتهم النّار، وبئس القرار، ولا تنفعهم أصنامهم شيئا، ولا تدفع عنهم ما قدّر لهم من العذاب ، وقس على ذلك كلّ من كان هذا حالهم من الاستكبار والاستهزاء بآيات الله إلى يومنا هذا؛كما أشار بعض المفسرين أنّ الآية تعني بذلك أحد المشركين وهو النّضر بن الحارث [2] بن عبد الدار وقد قتل صبراً ، كان يشترى من أحاديث العجم، ويشغل بها النّاس عن استماع القرآن ، فوردت الآية ناعية عليه ، وعلى كل من يسير سيرته، وما هم فيه من الشّر والفساد، وذلك التعميم لكلمة الإحاطة والشمول، و ثمّ لاستبعاد الإصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقّها أن تذعن لها القلوب، وتخضع لها الرّقاب فهى محمولة على المعنى المجازى [3].وينتهي هذا المقطع، الذي ورد فيه ذكر الاستهزاء بآيات الله، والصدّ عنها والاستكبار، بكلمة عن حقيقة هذه الآيات؛ وجزاء من يكفر بهذه الحقيقة في إجمال :﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ الجاثية:11:إنّ حقيقة هذا القرآن أنّه هدى، هدىً خالص مصفّىً ، هدىً ممح ص لا يشوبه ضلال ، فالذي يكفر بعد ذلك بالآيات، وهذه حقيقتها، يستحق ألم العذاب؛ الذي يمثله توكيد معنى الشّدة والإيلام؛ فالرّجز: هو العذاب الشّديد، والعذاب الذي يهدّدون به هو عذاب من رجز أليم. تكرار بعد تكرار ، وتوكيد بعد توكيد، يليق بمن يكفر بالهدى الخالص الصريح[4] .

1- التحرير والتنوير: 331/25.

2- النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، شيطان قريش وصاحب لواء المشركين ببدر، مشرك مجاهر بالعداوة والأذي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – قتل في بدر سنة2 هـ. (الأعلام للزركلي:33/8).

3- روح البيان لإسماعيل حقي الخلوتي ، (د، ط)، دار الفكر – بيروت، (د،ت): 438/8.

4- تفسير الظلال: 400/6.

الفرع الرّابع: الهدايات المستنبطة

1- هذا التهديد والوعيد لكلّ أفّاك أثيم، أي كذّاب كثير الآثام، مبالغ في اقترافها والإصرار عليها، يستدعي وقفة تبصر، وتأمل في المصير المشؤوم، سواء من الأفّاك نفسه، أو من كلّ سامع، ربما يتصف بهذه الصّفات ،ويؤكد ذلك: أن الأفّاكين يتعرضون لخسارة محققة، فلا تفيدهم الأصنام التي عبدوها شيئا. ويجد المتأمل المتبصر للقرآن أنّه إمام هادي إلى الخير، ومبعد له عن الشّر، وآخذ بيده نحو الطريق الأفضل، والسبيل الأقوم، فما على كلّ عاقل إلاّ أن يُقبل على مائدة القرآن، ينهل منها ما يُحقق له السّعادة في الدّنيا والآخرة[1].

2- هذا هدى أي "هذا القرآن" هدىً في ذاته وما يدعوا إليه ، ومن كفر به فحرُم الهداية، فلم يهتد فلا جزاء له إلّا جزاء العذاب الأليم[2].قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء:9.

الفرع الخامس: الإسقاط على الواقع.

1-أنّ صفة التكبر من الصفات المذمومة التي حذّر منها القرآن فعلى المسلم الإنتباه لنفسه لكي لايقع في هذه الصفة ويتصف بنقيضها وهو التواضع الذي هو خلق يزيد العبد هيبة وتوقيراً من النّاس.

2- - قوله: ﴿ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا ﴾الجاثية:10: أي في الآية إشارة إلى أنّ أصحاب هذه الصّفات يكونون من أرّباب الأموال، لأنّهم يكتسبونها بكلّ وسيلة، ولو ببيع عقولهم وضمائرهم وأموالهم، والمحافظة عليها من عوامل مردّهم لدعوة الإسلام ومحاربتها كما هو مشاهد[3].

3- عاقبة الاستهزاء بأي شيء من الدين على قرار الاستهزاء بآيات الله ممكن أن يودي بصاحبه للكفر فعلى المسلم الحذر كل الحذر ولا يجعل دينه عرضة لهذا من أجل إضحاك النّاس أو الخوض بشيء لا علم له فيه.

المطلب الثالث: التذكير بنعم الله على عباده

بعد التهديد والوعيد الشديد في المقطع السابق، لكلّ من استكبر عن آيات القرآن، والحثّ على اتباع ماجاء به ،ذكّر الله عباده في هذا المقطع، بالنّعم الجليلة الدّالة على قدرته،

1- الوسيط للزحيلي :3/ 2396.

2- الوسيط للزحيلي: 26/5.

3- أيسر التفاسير: 26/5.

وحكمته ليشكروه، ويوحدوه؛ فقال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الجاثية: 12-15.

الفرع الأول: ربط المقطع بمحور السّورة.

كما أسلفنا أنّ المحور الذي تدور حوله السّورة للتذكير هو ترسيخ الإيمان بالبعث بعد الموت، ولا أدلّ على ذلك في خاتمة هذا المقطع، حيث أكّد سبحانه وتعالى للمؤمنين هذا فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ أي حقيقة لا مفرّ منها وهي قضية الرّجوع إلى الله وهو البعث بعد الموت.

الفرع الثاني: المناسبة بين المقطع وما قبله.

بعد إيراد أدلّة وجود اللّه ووحدانيته، أورد اللّه تعالى بعض نعمه الدّالة أيضا على قدّرته ، وهي تسخير السفن في البحار ، لحمل التجارات والرّكاب، وتسخير ما في السّموات والأرض، ثمّ أمر المؤمنين بالعفو عن الكفّار، وأبان أنّ جزاء العمل الصّالح والسّيء ، يعود على نفس العامل خيراً أو شراً،وذكر ابن عاشور: أنّ مناسبة وقعها هنا أي: "آية العفو" بأنّه سبقها مايثير غضب المسلمين على المستهزئين بالقرآن ، وقد أخذ المسلمون يعتزون بكثرتهم ، فكان ما ذكر من استهزاء المشركين بالقرآن واستكبارهم عن سماعه ، يتوقع منه أن يبطش بعض المسلمين ببعض المشركين، ويحتمل أن يكون بَدر من بعض المسلمين غضب أو توّعد وأنّ الله علم ذلك من بعضهم، فجاءت بعدها هذه الآية حثاً على المسلمين بالعفو وأنّ الجزاء يوم القيامة[1].

الفرع الثالث: المعنى الإجمالي.

بعد أن ذكر فيما سلف الحجج الدّالة على رّبوبيته ووحدانيته ، أردف ذلك ذكر آثارها، فمن ذلك تسخير السفن فى البحار حاملة للأقوات والمتاجر ، رجاء أن تشكروا ما أنعم به عليكم، ومنها تسخيره ما فى السّموات والأرض من شموس وأقمار وبحار وجبال، لتنتفعوا بها

1- التحرير والتنوير: 338/25.

في مرافقكم وشئونكم المعيشية.ثمّ أمر المؤمنين بأحاسن الأخلاق، فطلب إليهم أن يصفحوا عن الكافرين ويحتملوا أذاهم، وعند الله جزاؤهم[1] ؛ فقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١٥﴾ الجاثية: 14-15.

وإن كانت هذه متصلة بالآي التي قبلها في النزولّ ولم يصح ما رّوي عن ابن عباس في سبب نزولها فمناسبة وقعها هنا أن قوله: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧﴾إلى قوله: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ١١﴾ الجاثية: 7- 11؛ يثير غضب المسلمين على المستهزئين بالقرآن ، وقد أخذ المسلمون يعتزون بكثرتهم، فكان ما ذكر من استهزاء المشركين بالقرآن ، واستكبارهم عن سماعه يتوقع منه أن يبطش بعض المسلمين ببعض المشركين، ويحتمل أن يكون بَدر من بعض المسلمين غضب أو توعّد، وأنّ الله علم ذلك من بعضهم[2].

ويؤكد صاحب الظلال سيد قطب [3] فيقول:" فهو توجيه كريم للذين آمنوا ليتسامحوا مع الذين لا يرجون أيام الله، تسامح المغفرة والعفو، وتسامح القوة والاستعلاء، وتسامح الكبر والارتفاع، والواقع أنّ الذين لا يرجون أيام الله مساكين ، يستحقون العطف أحيانا ، بحرمانهم من ذلك النّبع الفياض، الذي يزخر بالنداوة والرّحمة والقوة والثراء ، نبع الإيمان بالله، والطمأنينة إليه، والاحتماء بركنه، واللجوء إليه في ساعات الكربة والضيق ، والمؤمنون الذين يملكون كنز الإيمان وذخره، ويتمتعون برحمته وفيضه أولى بالمغفرة لما يبدو من أولئك المحرومين من نزوات وحماقات"[4].ثمّ أكّد الله أنّه من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها، ويوم القيامة يعرضون على ربّهم ويجازى كل نفس بما كسبت من خير أو شرّ؛وهذا تهديد ووعيد لهم، وهو كقوله تعالى

1- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، (ط: 1، 1365 هـ - 1946 م):149/25.

2- التحرير والتنوير:338/25.

3- سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط سنة 1906م. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة 1353 هـ (1934 م) ، فعكف على تأليف الكتب ونشرها كان سيد قطب قبل الثورة من أكثر المفكرين الإسلاميين وضوحا، ومن العجيب أنه انقلب – بعد قيام الثورة – ناقما متمردا على كل ما يحدث حوله، لا يراه إلا جاهلية مظلمة. توفي سنة1967م وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها :(النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (في ظلال القرآن) ..وغيرها. (الأعلام للزركلي147/3) .

4- الظلال: 3227/5.

في سورة المزمل: ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ ﴾المزمّل: 11و12، وكقوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ المعارج42:، فلا يغترّ الكافر بالنّعم التي نالها في الدنيا، فإنّ الآخرة خالصة للمؤمنين، وسيرى الكافرون ماأعدّه الله لهم من عذاب أليم[1].

الفرع الرّابع: الهدايات المستنبطة.

1- تقرير التوحيد والبعث والنّبوة و هذه الأصول الثلاثة عليها مدار استقامة العبد وجل السّور المكية تعالجها فلا تكاد توجد سورة تخلو من تحقيقها والدّعوة إليها[2].

2-امتن اللّه تعالى على عباده ؛ بما أنعم عليهم من تسخير البحر لجريان السفن فيه بإذنه ومشيئته، ولتحقيق المكاسب ومنافع المتاجر، والغوص على اللؤلؤ والمرّجان، واصطياد الأسماك، لكي يشكروه على نعمه ،وكذلك امتن اللّه تعالى على العباد بتسخير جميع ما في السّموات وما في الأرض من شمس وقمر ونجوم وكواكب، وجبال وسهول وأنهار ومعادن وزروع وأشجار ونباتات وغيرها، ففي ذلك كلّه دلائل واضحة على توحيد اللّه وقدرته[3].

3-يدعو الله الإنسان للتحلّي بالأخلاق الفاضلة الكريمة، وهي العفو والصّفح عن المسيء مهما كان اعتقاده؛ أي غير المسلم، فما بالك بالمسلم وهذا الرُّقي الأخلاقي الذي جاء به الدّين الإسلامي، وفي هذا ترغيب بالأعمال الصّالحة التي يجازى بها صاحبها في الآخرة أحسن الجزّاء.

4-قوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الجاثية:15 قال صاحب الظّلال [4]:"بذلك يتسع صدر المؤمن، ويرتفع شعوره ويحتمل المساءات الفردية والنّزوات الحمقاء من المحجوبين المطموسين، في غير ضعف، وفي غير ضيق ؛ فهو أكبر وأفسح وأقوى، وهو حامل مشعل الهدى للمحرومين من النّور، وحامل بلسم الشّفاء للمحرومين من النّبع، وهو مجزي بعمله، لا يصيبه من وزر المسيء شيء ، والأمر لله في النّهاية، وإليه المرجع والمآب".

1- التفسير الموضوعي لسور القرآن: 166/7.

2- أيسر التفاسير: 29/5.

3- التفسير المنير: 264/25.

4- الظلال: 3227/5.

الفرع الخامس: الإسقاط على الواقع.

1- على المسلم أن يتسم بصفة العفو، وهي من الصفات الغائبة في مجتمعنا فتحتاج إلى إيقاظها فيما بيننا، لايكون الإنتقام هو الأساس في علاقاتنا فبه لاتستقيم الحياة وكلّ من أخطأ يذهب ضحية هذا.

2- يجب أن ينظر المرء لهذه النّعم من تسخير البحر وغيرها بالسعي للمحافظة عليها لاكما نجده من الإنسان المعاصر بتلويثها؛ بإيجاد مصانع تترك الجوء نقي والأرض والمياه على طبيعتها لاالعكس.

المطلب الرّابع:نعمه الخاصّة ببني إسرائيل وإنزال الشّرائع.

لما ذكر الله سبحانه وتعالى النّعم العامة في المقطع السابق على جميع النّاس، أتبعه في هذا المقطع بالنّعم الخاصّة على بني إسرائيل،ثمّ أعقبه، بنعمة الشرائع وحثّ على إتباعها؛ فقال تعال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الجاثية: 16-22.

الفرع الأول: ربط المقطع بمحور السّورة.

ذكر الله اختلاف بني اسرائيل بعد النّعم التي حصلت لهم، وأكّد أنّه يوماً سيرجعون إليه يوم القيامة، للفصل في اختلافهم وهي رسالة لمن يأتي بعدهم على أنّ هناك يوم تقف فيه الخلائق، في الفصل فيما اختلفوا فيه، ثمّ تحدّث الله عن كتابه القرآن الذي أنزله هدى وبصيرة لقوم يوقنون؛ أي: هم الذين أيقنوا بالبعث وبعد ذلك خُتم المقطع بأنّ كلّ نفس ستجزى بما أسلفت من عمل، فليست النّفس المؤمنة كغيرها في الجزّاء يوم الحساب .

من حوصلة الفكرة العامّة للمقطع يتبين أنّها: تؤكد في كل مرّة ترسيخ حقيقة البعث والنّشور فهو على ارتباط قوي بمحور السّورة.

افرع الثاني: المناسبة بين المقطع وما قبله.

بعد بيان بعض نعم اللّه في الدنيا على النّاس جميعا فهي نعم عامّة، ذكر تعالى نعم الدّين والدنيا على بني إسرائيل فهي نعم خاصة، وبما أنّ نعم الدّين أفضل من نعم الدنيا، بدأ تعالى بتعداد نعمه الدينية عليهم، وأتبعها بالنّعمة العظمى على الإنسانية ، وهي الشريعة الإسلامية التي لم يبق في الوجود دليل آخر سواها على صحة مصدريتها من اللّه سبحانه، فكانت هي البصائر والهدى والرّحمة[1].

الفرع الثالث: المعنى الإجمالي.

لما ذكر الله سبحانه وتعالى النّعم العامّة في المقطع السابق على جميع النّاس أتبعه في هذا المقطع بالنّعم الخاصة على بني إسرائيل ، قال صاحب الظلال: بعد ذلك يتحدث عن القيادة المؤمنة للبشرية، وتركّز هذه القيادة أخيراً في الرّسالة الإسلامية ، فيشير إلى اختلاف بني إسرائيل في كتابهم، بعد ما آتاهم الله الكتاب والحكم والنّبوة ، وانتهاء راية القيادة، والحكم إلى صاحب الدّعوة الأخيرة، هذا وهو بعدُ في مكة ، والدّعوة بعدُ مطاردة محاصرة ، ولكن طبيعتها هي هي منذ نشأتها، ومهمتها هي مهمتها [2]، فلقدّ الله سبحانه على بنى إسرائيل بما أنعم به عليهم، من وافر النّعم الدّينية والدّنيوية، وذكر من ذلك[3]:

(1) إنزال التّوراة على موسى؛ فيها معالم للهدى وشرائع للنّاس تهديهم إلى سواء السّبيل.

(2) إرسال الرّسل، فكثُر فيهم الأنبياء بما لم يكن لأمّة مثلهم.

(3) القضاء بين النّاس والفصل فى خصوماتهم، إذ كان الملك فيهم، فاجتمع لهم حكم الدّين وحكم الدّنيا.

(4) إيتاؤهم طيّبات الأرزاق، فكانوا ذو ي ترف ونعيم فى معايشهم، وكان منهم الملوك ذوو الحظ الأوفر من العظمة ، والفضل وسعة الجاه ، والأمر والنّه ي وبسطة العيش؛ كداود وسليمان عليهما السّلام.

1- المنير: 267/25.

2-الظلال: 5/ 3228.

3- تفسير المراغي: 151/25.

(5) تفضيلهم على النّاس جميعاً، إذ لم يكن فى أمّة أنبياء كما كان فيهم، ولم يجمع الله بين الملك والنّبوة فى شَعب كما اجتمع فيهم، فهم أرفع الشّعوب مَنقبة ، قال ابن عبّاس: لم يكن أحد من العالمين أكرم على الله ولا أحبّ إليه منهم ، وقد آتاهم من الآيات المرئية والمسموعة وأكثر فيهم من الأنبياء بما لم يفعله بغيرهم ممّن سبق.

(6) إيتاؤهم أحكاما ومواعظ مؤيدة بالمعجزات، وقد كان هذا مما يستدعى ألفتهم واجتماعهم، وكانوا كذلك لا يختلفون إلاّ اختلافا يسيراّ لا يضّر مثله، فلمّا جاءهم العلم اختلفوا كما أشار إلى ذلك بقوله:(فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ): أي فما حدث فيهم هذا الخلاف إلاّ بعد قيام الحجّة طلبا للرّياسة وحسداً فيما بينهم، ثمّ وكّل سبحانه أمر المختلفين إليه للقضاء بينهم يوم القيامة ، وفى هذا تحذير لهذه الأمّة أن تسلك مسلكهم، وأن تسير على نهجهم.

كلّ هذا قبل ظهور أمّة محمّد صلى الله عليه وسلم أمّا بعد ظهورها فقد صرّح القرآن الكريم بأنّها خير الأمم،ففي قوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾آل عمران: 110،قال الشنقيطي:"وهذا واضح لأنّ ماجاء في القرآن من تفضيل بني اسرائيل، إنّما يُراد به أحوال سابقة"[1].

ومع كلّ هذه النّعم، وهذه الحجج والبراهين وبعد قيام الحجّة عليهم وعلّمهم الحقيقة اختلفوا في أمر الدّين، وبغى بعضهم على بعض عناداً وحسداً وحباً للرئاسة، والله سيفصل بينهم بحكمه يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدّين، وبذلك انتهت قيادتهم، وبطل استخلافهم، وجعلت الخلافة لأمّة محمّد صلّى الله عليه وسلم وشريعة الإسلام، وبهذا أمر النّبي صلى الله عليه وسلم بأن يتمسك بالحقّ وإظهار الصّدق، وأنّ لا يكون له غرض سوى اتباع الشّريعة، التي أنزلها الله تعالى بالدلائل والبراهين، ولايتبع أهواء المشركين الذين قالوا له وهو بمكة: اتبع ملّة آبائك فهم كانوا أفضل منك، فلو ملت إلى مايريدون من اتباع أديانهم الباطلة، صرت مستحقاً للعذاب مثلهم، وهم لايستطيعون دفع العذاب عنك، والظالمون لامولى لهم، بل يتولى بعضهم بعضاً، وأمّا المتقون فمولاهم الله وناصرهم الله[2].ثمّ أشار إلى المنبع الصافي الذي مصدره الوحي: إلى القرآن أو إلى اتباع الشريعة.

1- أضواء البيان: 198/7.

2- التفسير الموضوعي لسور القرآن: 168/7.

فهو براهين، ودلائل لهم فيما يحتاجون إليه من أحكام الدّين وبينات تبصرهم وجه الفلاح، ومعالم يتبصرون بها في الأحكام والحدود ، جعل ذلك بمنزلة البصائر في القلوب ؛ ليتوصل بكلّ واحد منها إلى تحصيل العرفان واليقين ،ورُشد وطريق يؤدي إلى الجنّة لمن عمل به ، ورحمة من الله في الآخرة لمن شأنهم الإيقان وعدم الشك والتزلزل بالشبهة [1]،قال الألوسي:" فإنّ ما فيه ؛ أي القرآن من معالم الدّين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب"[2].

بعد ذلك بين الله المعالم إلى طريق الهدى والبصيرة، ليضع الحجّة في الدنيا للنّاس، ثمّ أردف ذلك ذكر الفارق بينهم بعد ذلك في المحيا والممات، فالمحسنون مرحومون في الحالين، ومجترحو السّيئات مرحومون في الدنيا فحسب، ثمّ ذكر الدليل على هذا ، بأنّ الله ما خلق الخلق إلاّ بالحقّ، المقتضى للعدل والانتصاف للمظلوم من الظالم، والتفاوت بين المحسن والمسيء في الجزّاء، وإذا لم يكن هذا في المحيا كان في دار الجزّاء حتماً، لتجزى كلّ نفس بما كسبت، فلا تظلم بنقص ثواب أو بمضاعفة عقاب[3].

الفرع الرّابع: الهدايات المستنبطة

1-أنّ القرآن الكريم يُذكّر النّبي ﷺ في هذا المقطع والمؤمنين بأنّ القيادة كانت لبني إسرائيل، مكنهم الله في الأرض ورزقهم من الطّيبات وبعث فيهم الأنبياء، فلمّا فقدوا الإيمان واختلفوا وتحاسدوا، وتنازعوا وظلموا وفشلوا انتهت قيادتهم ، وكذلك قومك فقد اختارهم الله لقيادة الإنسانية وأمرهم بالطاعة ، وشرع لهم شريعة مرتبطة به ،فإنّ حادوا عنها وتحاسدوا وتقاتلوا، وتباغضوا سلّط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب[4].

2- قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الجاثية: 18، قال ابن العربي المالكي[5] الذي يرى كغيره من المالكية، أنّ شرع من قبلنا شرع لنا،

1- فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبو الطيب محمد صديق خان ، (د-ط)، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ - 1992 م:425/12.

2- روح المعاني: 149/25.

3- تفسير المراغي: 153/25.

4- التفسير الموضوعي لسور القرآن: 169/7.

5- -محمد بن عبد الله الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة468 هـ، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير =والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس سنة534هـ. من كتبه :العواصم من القواصم ، و عارضة الأحوذي في شرح الترمذي و أحكام القرآن ، و القبس في شرح موطأ ابن أنس.وغيرها. (الأعلام للزركلي230/6)

وهو ردّ على الشافعية الذين يرون أنّ شرع من قبلنا ليس شرعا لنا ، لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة: 48 ولهذه الآية فقال: ظنّ بعض من يتكلم في العلم ، أنّ هذه الآية: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾ دليل على أنّ شرع من قبلنا ليس بشرع لنا، لأنّ الله تعالى أفرد النّبي صلّى الله عليه وسلّم وأمّته في هذه الآية بشريعة، ولا ننكر أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم وأمّته منفردان بشريعة، وإنّما الخلاف فيما أخبر النّبي صلّى الله عليه وسلّم عنه ؛ من شرع من قبلنا في معرض المدح والثناء، هل يلزم اتباعه أم لا؟ ولا إشكال في لزوم ذلك[1].

3-لا يجوز أن يتبع المؤمنون أهواء المضلين والظالمين ويجب عليهم أن ينتبهوا ويحذروا منهم،فهؤلاء الظلمة المظلين في كلّ زمان ومكان يريدون من المؤمنين أن يتبعوا ضلالاتهم ويبتعدوا عن بصائر الله التي بصّر بها عباده ليعبدوه،ويعملوا بما أمرهم في شريعة الإسلام[2]

4- بيان أنّ القرآن كتاب هداية وإصلاح، ولا يتم شيء من هداية النّاس وإصلاحهم إلاّ عليه[3]، وَمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ بَصَائِرُ لِلنَّاسِ جَاءَ مُوَضَّحًا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي أُخْرَيَاتِ الْأَعْرَافِ : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ الأعراف:203 . وَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْأَنْعَامِ :﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الأنعام:104 .

5-تقرير البعث والجزّاء ؛ يبطلان اعتقاد الكافرين في أنّ النّاس يحيون ويموتون بلا جزاء على الكسب صالحه وفاسده.

الفرع الخامس: الإسقاط على الواقع.

1-يجب أن يتفطن المسلمين لحقيقة اليهود فلا تجدي معهم الإتفاقيات والمعاهدات فهم نقضوها مع خالقهم الذي أغدقهم بالنّعم الظاهرة والباطنة فليس غريباً أن ينقضوها مع من دونه.

2-يجب على المسلم وخاصة مع توفر الوسائل الحديثة كوسائل التواصل الإجتماعي وغيرها أن يخصص ولو فترة من مكوثه أمامها في الدعوة لهذه الشريعة السّمحة.

1-أحكام القرآن لابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(ط:3 ،2003م/1424هـ):123/4 .

2- التفسير الموضوعي لسور القرآن: 169/7.

3- أيسر التفاسير: 33/5.

3- ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ عبر شاشات التلفزة ظهر من دعاة العلم والعلم منهم براء فعللى المسلم الحذر من هؤلاء ويعلم أنّ العلماء يعرفون بتزكية العلماء لهم.

المطلب الخامس: الوثنية وإنكار البعث بعد الموت

بعد أنّ بيّن الله تعالى ما أنزله في هذا القرآن من البصائر والهدى للنّاس، تحدّث بعده عن من ركب هواه وأعرض عن الحقّ فقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الجاثية: 23-29.

الفرع الأول:ربط المقطع بمحور السّورة.

إنّ هذا المقطع من خلال ماجاء به، لذو صلة مباشرة بموضوع محور السّورة، الذي يردّ في أوله على الفئة المستهدفة التي أنكرت يوم البعث فكان الرّد ؛ بأنّ الذي أنشأ من العدم، لا يصعب عليه إعادتهم مرّة أخرى، وكيف أنّ الله أحياكم من العدم ثمّ يميتكم ثمّ يجمعكم ليوم الحساب، الذي لايتخلف عنه أحد مهما كان علو شأنه من عدمه،وعرّج سبحانه أنّ له ملك السّموات والأرض فلايعجزه شيء، وهذه كلّها دلالات وبراهين أنّ من ملك تصريف مافي السّموات والأرض لايعجزه مادونه.

الفرع الثاني: المناسبة بين المقطع وما قبله.

تحدّث المقطع السّابق عن نعمة الإسلام، الذي ارتضاه الله للبشرية جمعا، لما يَصلح به حال دينهم ودنياهم ،ثمّ جاء المقطع هذا ليَعْجب ممّن أعرض عن هذه النّعمة الكبرى، واتبع هواه الأعمى الذي لايبصر إلاّ بمنظار الشّهوة،حتّى أصبح الواحد منهم، لايرى بعد هذه الحياة من حياة.

الفرع الثالث: المعنى الإجمالي.

ثمّ عجِب سبحانه، ممّن ركِب رأسه واتبع هواه ، وترك الهدى، وأضلّه الله، وهو العليم باستعداده وخبث طويته، وأنّه ممّن يميل إلى تدسية نفسه واجتراح الآثام والمعاصي، فهو ممّن ختم الله على سمعه وقلبه، فلا يتأثر بعظة، ولا يُفكر فى آية، وجعل على بصره غشاوة مانعة من الاستبصار والاعتبار، فمن بعد الله يهديه؟ أفلا تتذكرون وتتفكرون فى هذا؟ [1]، والنّفس الإنسانية دائما تدعو إلى الشّر، وتهدف إلى الضّار، والإنسان يهوى ما فيه حتفه، ولهذا ذم القرآن دائما اتباع الهوى في غير موضع ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ الأعراف :176 .﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الروم :29 .

وعن النّبي ﷺ أنّه قال[2]: «لا يؤمن أحدكم حتّى يكون هواه تبعا لما جئت به»[3] .

ثمّ يخبر تعالى عن قول الدّهرية من الكفّار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ أي: ما ثمّ إلاّ هذه الدّار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثمّ معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو ا العرب المنكرون للمعاد، ...فكابروا المعقول وكذّبوا المنقول، ولهذا قالوا: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ قال الله تعالى:﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي: يتوهمون ويتخيلون ، ففي الحديث عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسولﷺ: "يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدّهر وأنا الدّهر، بيدي الأمر، أقلب ليله ونهاره"[4] وفي رواية: "لا تسبوا الدّهر، فإنّ الله هو الدّهر" [5].

هؤلاء إذا قرأت عليهم آيات القرآن الواضحة في الدلالة على يوم البعث والنّشور،طلبوا إحياء آبائهم الأولين.فقل لهم :الله خلقكم ابتداء حين كنتم نطفاً،وهو الذي يميتكم عند انتهاء

1- تفسير المراغي: 153،154/25.

2- ذكره الإمام النووي في الأربعين النووية وقال عنه: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح،"الحديث الحادي والأربعون لكن الحكم على الحديث "قال المحقق سليم الهلالي في كتاب إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي :ضعيف كما بينه المصنف في الأصل" ، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت،(ط:1، 1430 هـ - 2009م): 113.

3- التفسير الواضح لحجازي محمد محمود، دار الجيل الجديد – بيروت،(ط:10 - 1413 هـ):433/3.

4- رواه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، بَابُ :﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[الجاثية: 24]، برقم: 4826 :133/6.

5- تفسير ابن كثير: 247/7.

آجالكم ،ثمّ يبعثكم بعد الموت للحساب والجزاء ،كما أحياكم في الدنيا ،ويوم القيامة لاشك فيه ولا ارتياب، ولكنهم لا يعلمون الحقّ لجهلهم ،ولقصور نظرهم:فالقادر على الخلق والإيجاد ابتداء ،وجب أن يكون قادراً على الإعادة ثانياً، والحكمة اقتضت الجمع للجزاء يوم القيامة،فهو سبحانه وتعالى مالك جميع الكائنات في السّموات والأرض،والخسران المبين لمن ينكر يوم القيامة.

وفي ختام المقطع يعرض الله مشهداً من مشاهد يوم القيامة التي ينكرها الدّهريون، ولايصدّقون بها، بل يستهزئون بها ويشكّون فيه،يصورهم في ذلك اليوم وكأنّه واقع يرونه رأي العين[1]،وتجثوا الأمم كلّها على ركبها من شدّة الهول والفزع،قال ابن كثير [2]:إنّ هذا إِذَا جِيءَ بِجَهَنَّمَ فَإِنَّهَا تَزْفِرُ زَفْرَةً، لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا جَثَا لِرُكْبَتَيْهِ [3].في انتظار الحساب أمام الواحد القهّار،فيقال لهم:اليوم تجزون ماكنتم تعملون في الدنيا.

الفرع الرّابع: الهدايات المستنبطة

1-إنّ اِتباع أهواء النّفس مذموم دائما، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما:ما ذكر الله هوى في القرآن إلّا ذمّه، قال الله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ الأعراف: 176 وقال تعالى:﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ الكهف:28 وقال تعالى:﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ الروم:29 وقال تعالى﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ القصص:50 وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ ص: 26 . أن الشرع قد نهى عن اتباع الهوى، وقد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات .فقد جعل الله سبحانه وتعالى مخالفة النفس بترك هواها علة عادية وسببا شرعيا لقصر مقامه على الجنة؛ ولهذا كانت مخالفة النفس

1- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 172/7.

2- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدّين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد سنة 701هـ في قرية من أعمال بصرى الشام، وتوفي سنة 774هـ بدمشق. تناقل النّاس تصانيفه في حياته من كتبه: البداية والنهاية، شرح صحيح البخاري و تفسير القرآن ..وغيرها. (الأعلام للزركلي320/1).

3- تفسير ابن كثير: 249/7.

رأس العبادة قَال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات: 40،41 فدفاع الهوى أعظم جهاد[1].

2-تقرير البعث والجزّاء بالرّد على الدّهريين ، وهم الذين ينسبون الحياة والموت للدّهر ، وينفون وجود الخالق عزّ وجل ،وبيان أنّ الكفّار لا دليل لهم عقلي ولا نقلي على صحّة الكفر عقيدة كان أو عملاً[2].وهي حال المعاصرين اليوم، الذين كلّما تقدّموا بعقولهم التي وهبها الله لهم، جحدوا هذه، وأعلنوا بكلّ وقاحة أنّهم لايؤمنون إلاّ بالمادة،وهم الذين عُرِفوا بالملحدين؛ الذين في كلّ زمان تجدهم بلون ولكنّهم يجتمعون في الأصل الواحد وهو إنكار الله.

لذلك جاء التخويف والإنذار بذكر بعض ما يقع يوم القيامة ، و تقرير عقيدة كتابة أعمال العباد، وتقديمها لهم يوم القيامة في كتاب خاص.

الفرع الخامس: الإسقاط على الواقع.

1-على المسلم أن يحذر من دعاة الإلحاد وخاصة عندما يكونون من بني جلدتنا الذين خرجوا علينا في وسائل الإعلام بما يشكلون موضة القرن وما هم إلاّ من أغرّهم العالم الغربي فعلى الدعاة التحذير منهم ونشر العقيدة الصحيحة التي تهدم أفكارهم.

2-إنّ المسلمين اليوم لو كانت عقيدة إيمانهم بالبعث والنّشور راسخة لما تجد الواحد منهم يجمع الأموال من مصادر أقل ما تقول عنها أنّها مشبوهة، وتجد الظلم منتشراً في كلّ مكان من الأرض...فهذا كلّه من ضعف هذه العقيدة في القلوب.

المطلب السادس: أحوال المؤمنين والكافرين في الآخرة.

ذَكر الله تعالى في هذا المقطع حال الفريقين من المؤمنين والكافرين، بعد أنّ بيّن الله حال بعض من اتبع هواه وحاد عن الفطرة السليمة اتبعه بمآله الذي ينتظره، ليتبين الأمر للمُخاطب في نفسه، ويعتبر إذا جاءه من الله تذكير مايلقاه يوم القيامة، إمّا الفوز بالجنّة أوالخلود في النّار .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِى رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِى تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ

1- الموسوعة الفقهية الكويتية،لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ،طباعته تمت : (من 1404 - 1427 هـ)، ط:2 ، طبع الوزارة:315/42.

2- أيسر التفاسير: 38/5.

إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ الجاثية: 30-37.

الفرع الأول: ربط المقطع بمحور السّورة.

إنّ ما ذكره الله في هذا المقطع، من ما آل إليه كلّ فريق في الآخرة، والتركيز على ندم من كذّبوا بهذا اليوم العصيب،وذلك ليزداد الذين ءامنوا إيماناً بهذا اليوم فلا يحزنوا ولا يقنطوا من أفعال الظالمين والكافرين، ولزجر كذلك من له قلب وتذكيره لينتهي عن غيّه.

ولهذا ختمت الآيات بالكبرياء والعزّة لله وحده، فلا ينفع إعراض وتكبّر الكافرين عن آيات الله الذي بيده البعث والجزاء، وهذا ما يُظهر صلة هذا المقطع بمحور السّورة.

الفرع الثاني: المناسبة بين المقطع وما قبله.

بعد أن ذكر أهوال العرض والحساب، وأنّ أعمال كلّ أمّة تعرض عليها، ويقال لهم هذا ما كتبته الحفظة في الدنيا، فهو شهادة صدق لا شك فيها، أردف هذا بيان أنّه بعد انتهاء هذا الموقف، يدخل الذين آمنوا وعملوا الصّالحات جنّات النّعيم، ويوبّخ الكافرون على ما فرط منهم[1]؛ فالكلام هنا هو متصل بقوله: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ ﴾ قوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾، وابتدئ في التفصيل بوصف حال المؤمنين مع أنّ المقام للحديث عن المبطلين في قوله:﴿ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ الجاثية: 27 تنويهاً بالمؤمنين وتعجيلاً لمسرتهم، وتعجيلًا لمساءة المبطلين، لأنّ وصف حال المؤمنين يؤذن بمخالفة حال الآخرين لحالهم ، وافتتح ببيان حال الذين كفروا بما يقال لهم من التوبيخ، والتقرير من قبل الله تعالى[2].

1- تفسير المراغي: 164/25.

2- التحرير والتنوير: 371/25.

الفرع الثالث: المعنى الإجمالي.

وفي هذا المقطع، في ختام هذه السّورة، يعرض الله مشهداً من انقسام الخلائق إلى فريقين؛فأمّا الفريق الأول:الذين ءامنوا وأطاعوا الله فحالهم يسير،يرون ما أعدّه الله لهم من ثواب ورحمة، وهي دخولهم الجنّة مكان تنزل رحمة الله تعالى على عباده المؤمنين،وذلك هو الفوز العظيم الذي لافوز بعده ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ آل عمران : 185.

وأمّا الفريق الثاني:وهم الكافرون المستكبرون الذين استكبروا عن عبادة الله، ولم يتبعوا الرّسل، فيوبخهم ويقرعهم، ويقول لهم:أفلم تكن آياتي تتلى عليكم، فتكبرتم عن الإيمان، وأنكرتم لقاء يومكم هذا وقد قيل لكم:إنّ وعد الله حقّ وهو يوم القيامة، وإنّ الساعة لاشك فيها، فكذبتم وكنتم مغرقين في غيّكم وضلالكم، غير مصدقين ولامستيقنين من حدوثها، وخدعتكم الحياة الدنيا بزخارفها وأباطيلها ونسيتم لقاء يومكم هذا ،فها هو قد ظهر لكم وأحاط بكم، كما أحاط بكم العذاب الذي كنتم تنكرون، وتستهزؤن به، فاليوم ننساكم في النّار كما نسيتم لقاء يومكم هذا، ونترككم تعذبون، وليس لكم من ينصركم ويخلّصكم من عذاب النّار، بسبب كفركم، واستهزائكم بكلام الله في الدنيا، وعدم اتباعكم الرّسل وإنكاركم للبعث والنّشور ،فجزاؤكم النّار لا تخرجون منها،ولا يطلب منكم الطاعة لعدم نفعها في الآخرة، وتوصد أبواب النّار من خلفكم وينطلق أخيراً صوت: الحمد لله ربّ العالمين، فلا يستحق الحمد سواه فهو المدبر للسّماوات والأرض وهو ربّ العالمين، له العظمة والعزّة والكبرياء، وهو الغالب الذي لا يقهر، الحكيم في صنعه وتدبيره[1] .

الفرع الرّابع: الهدايات المستنبطة

1- إنّ ثواب المؤمنين الذين عملوا صالح الأعمال، فأدّوا الفرائض، واجتنبوا المعاصي والمنكرات هو دخول جنّات الخلد والنّعيم ، وكان جزّاء الكافرين الذين أشركوا بالله إلها آخر، واقترفوا المعاصي، وتكبروا عن طاعة اللّه وقبول أحكامه و اتباع شرائعه هو دخول نار جهنم [2].وفيها أيضا حثّ للإنسان في هذه الحياة بالمسارعة إلى طاعة الله واتباع أوامره قبل فوات الفرصة.

1- تفسير الظلال: 5/ 3234، صفوة التفاسير: 175/3.

2- تفسير المنير: 294/25.

2- وذكر الشيخ أبوبكر الجزائري ثلاثة أحكام من هداية هذه الآيات فقال[1]:

أ- بيان أنّ الاستهزاء بآيات الله وشرائعه كفر موجب للعذاب.

ب- تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل، وكما يدين الفتى يدان.

ج- مشروعية الحمّد عند الفراغ من أي عمل؛ صالح أو مباح.

3-لا يستحق الحمد إلاّ الله تعالى، فهو المتفضل على عباده بكلّ أنواع النّعم، فهو خالقهم ومالكهم ومالك الكون كلّه، سمائه وأرضه، المتفرد بالعظمة والجلال، لا إله إلاّ هو، له الكبرياء والعزّة والحكمة المدبرة، وهو العزيز الحكيم في صنعه وفعله وتدبيره[2].

الفرع الخامس: الإسقاط على الواقع.

إذا كان المسلمين يبحثون عن مخرجٍ لمشاكلهم هذه إلاّ بالرّجوع إلى كتاب ربّهم ففيه الدواء والشّفاء؛ والقرآن عندما يتعرض في آخر هذه السّورة بالتذكير بيوم المقدم عليه سبحانه فهو لإيقاظ كلّ من تعلّق قلبه بهذه الدنيا الحقيرة، ليفيق من سباته ويرجع إلى ربّه قبل فوات الأوان فمن رحمته أنّه في كتابه عرض لنا شيئا من صور أهوال اليوم الآخر ليرجع المسلم إلى ربّه تائباً نادماً.

1- أيسر التفاسير: 43/5.

2- التفسير الموضوعي لسور القرآن: 174/7.

الخاتمة

الخاتمة:

الحمد لله وحده والصّلاة على من لانبي بعده أمّا بعد؛ فإنّني أحمد الله على توفيقه ومنّه علي أن أتممت هذا البحث المتواضع، والذي ضمنته دراسة تحليلية وموضوعية لسورة الجاثية، حيث تناولت فيه؛ فصلا تمهيدياً تحدثت فيه عن السّورة بشكل عام من حيث التسمية وجدتها لها اسم توقيفي واحد وهو سورة الجاثية ،أمّا من حيث الأسماء الإجتهادية فلها أكثر من واحد منها :سورة الدهر وسورة الشريعة،وكذلك مكية السّورة وما تتميز به السّور المكية من التركيز على جانب العقيدة.وبعدها كانت الدّراسة مخصصة للجانب التحليلي الذي يصب على دراسة الآيات من خلال المفردات والجوانب اللغوية والبلاغية وكذلك القراءات ، ويعنى بالمعنى للآيات وما يستفاد منها، فكانت المقاطع في كلّ منها تحثّ على التأكيد على إثبات حقيقة البعث من خلال الدلائل والبراهين المبثوثة في عظم الخلق للسّموات والأرض وغيرها من المخلوقات وهذا الذي ركّزت عليه عند تناولي للدراسة الموضوعية؛ كيف أنّ السّورة جاءت في وحدة موضوعية متكاملة يدور محورها على تأكيد البعث والحساب الذي لايجد للمشركين إيماناً به، لإعتقادهم أن لاحياة من غيرها، وكذلك لكلّ من يأتي بعدهم من الملحدين عبر العصور.

النتائج المتوصل إليها من خلال البحث:

1- أنّ سورة الجاثية من السّور الحواميم التي جاءت لتقرير حقيقة البعث بعد الموت ليضع المتأمل فيها أنّ هذا محورها الأساس الذي جاءت لتقرره.

2- أنّ السّورة تأخذ بالعبد إلى التّدبر في خلق السّماوات والأرض وما فيهما من عجائب خلق الله.

3- عند دراستي لسورة الجاثية وجدت أنّه لابدّ من الوقوف مع تنزيل السّورة لواقع النّاس والرّبط ماتدعوا إليه والإنفلات الأخلاقي المعاش.

التوصيات:

إنّني في نهاية هذا البحث المتواضع الذي أسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتي ولا يحرمنا رضوانه،أوصي بعد أن أطلعت على كثير من مناهج علمائنا المفسرين من خلال بحثي على النّقاط الآتية:

1-أن تجعل منهجية تُتبع للدّراسة التحليلية الموضوعية لسورة معينة ولايبقى الباحثين كلّ يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقرّ بذاك، ولا يتيه الواحد منّا إذا أراد أن يتعرض لهذا اللون من التفسير.

2-العمل على إنتاج بحوث مشابهة لهذه الدراسات، لتشمل القرآن ككلّ، ولاتبقى دراسات لسور معينة، وتتكاثف الجهود لذلك خاصّة من قبل الجامعات والمعاهد من أمثال ماقامت به جامعة الشّارقة من التفسير الموضوعي لسور القرآن ولكني أقصد بالتحديد عدم إغفال الدّراسة التحليلية .

3-أقترح على جامعتنا الموقرة أنّ تتبنى مشاريع لخدمة كتاب الله من خلال تحقيق الكتب، وخاصّة التي لم تحقّق منها، وكذلك التي حقّقت بطبعات غير جيدة ولامنقحة، لأنّ خزائن المخطوطات تزخر بكنوز في هذا المجال.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فإن كان من خطأ فمن نفسي والشّيطان، وإن كان من صواب فمن الله وحده ،وصلى الله على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة البقـرة		
{وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}	07	41
{إنّ في خلق السّموات والأرض }	164	18
{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا}	257	32
سورة آل عمران		
{وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}	68	32
{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}	110	69
{ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ }	185	77
سورة المائـدة		
{وجعلكم ملوكاً}	20	35
{وَالْجُرُوحَ قِصاصٌ}	45	33
{لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً}	48	31
سورة الأنعام		
{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ}	104	74-71-01
{ومن الأنعام حمولة وفرشا}	142	01
سورة الأعـراف		
{وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها}	176	73-68
{إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ}	196	33
{قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ}	203	71
سورة الأنفال		
{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ}	57	8

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة التوبـة		
{ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}	03	47
{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}	05	7
{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ }	29	8-7
{وقاتلوا المشركين كافة}	36	8
{ يبغونكم الفتنة }	47	31
{لقد ابتغوا الفتنة من قبل}	48	31
سورة يونـس		
{وتَكونَ لكُما الكِبْرِياءُ في الأرضِ}	78	49
سورة إبراهيـم		
{وسخر لكم الشّمس والقمر}	33	24
سورة النحـل		
{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ }	108	41
سورة الإسـراء		
{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }	09	63
{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ }	88	59
سورة الكهـف		
{وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً}	28	74
سورة مريـم		
{وآتيناه الحكم صبياً}	12	36
سورة الحـج		
{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا }	39	08

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة القصص		
{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ}	50	74
سورة العنكبوت		
{ومأواكم النّار}	25	49
سورة الروم		
{بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ}	29	74-73-68
سورة لقمـان		
{أَلم تروا أَنّ الله سخَّر لكم}	20	25
سورة يس		
{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ}	65	39
سورة الشورى		
{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً}	13	32
{ إنّما السبيل على الذين يظلمون النّاس }	42	32
سورة الزخرف		
{وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ}	32	1
سورة الجاثية		
{إنّ في السّماوات والأرض لآيات للمؤمنين}	03	12
{وفي خلقكم وما بثّ فيهما من دابّة }	04	12
{وتصريف الرّياح آيات لقوم يعقلون}	05	12
{تلك آيات الله نتلوها عليك بالحقّ }	06	68-12
{وَيْلٌ لِكُلِّ أَفّاك أَثِيم}	07	17
{وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا}	09	07

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
{وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً}	10	63
{هذا هُدىً وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ}	11	62
{قل للذين ءامنوا يغفروا }	14	10-07-04
{من عمل صالحا فلنفسه }	15	66-06
{ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب}	16	66
{ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ}	18	35-31
{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ}	21	32
{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ}	23	40-39
{يومئذ يخسر المبطلون}	27	73-51
{وَتَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً}	28	42-44-01
{ إنّا كنّا نستنسخ ماكنتم تعملون }	29	42
{فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات }	30	49-07
{أفلم تكن آياتي تتلى عليكم }	31	49-07
{وإذا قيل إنّ وعد الله حقّ }	32	49
{وبدا لهم سيئات ماعملوا }	33	50
{وقيل اليوم ننساكم }	34	50
{ فاليوم لا يخرجون منها }	35	50-06
{فللّه الحمّد ربّ السّماوات }	36	50
{وله الكبرياء في السّماوات }	37	50
سورة الأحقاف		
{وذلِكَ إِفْكُهُم}	28	17

سورة المعارج		
{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا}	42	61
الآية	**رقمها**	**رقم الصفحة**
سورة المزمل		
{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ}	11	61
{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا}	12	61
سورة النازعات		
{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ}	40	75
{فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}	41	75

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
أنّ ناسخها قوله في الأنفال: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ}الأنفال: 57	12
أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ	41
ذلك الكافر اتخذ بغير هدىً	43
الشِّرْعَةُ: ما ورد به القرآن	32
الغِشاوة: مَا غشي الْقلب من الطَّبْع	39
قوله: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ } الحج:39	12
كان أهل الجاهلية يقولون: إنّما يهلكنا الليل والنّهار	40
كان نبي الله ﷺ يعرض عن المشركين	11
كانت قريش تعبد العُزّى	39
لا تسبوا الدّهر	43
لا تسبوا الدّهر	73
لا يؤمن أحدكم حتّى يكون هواه	73
ما ذكر الله هوى في القرآن إلّا ذمّه	70
نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه	05
نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ طَافَ بِالْبَيْتِ	40
نَزَلَتْ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ	23
نسخت بآية السيف	7
نسختها{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} التوبة: 05	7
ونحو هذا من القرآن مما أمر الله فيه بالعفو	7
يؤذيني ابن آدم	40
يؤذيني ابن آدم	73

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم	رقم الصفحة
أبو الحسن الواحدي	01
أبو عبد الله الحاكم	01
محمد الطاهر بن عاشور	02
أبو القاسم الزمخشري	02
شهاب الدين الآلوسي	02
ابن عَطِيَّة الأندلسي	03
أبو الحسن الماوردي	04
وهبة بن مصطفى الزحيلي	05
جلال الدّين السيوطي	05
محمّد صدّيق خان	08
أبو بكر الأنباري	11
محمد بن جرير الطبري	39
أبو عبد الله القرطبي	40
محمد الأمين الشنقيطي	57
فخّر الدّين الرّازي	59
النّضر بن الحارث	62
سيد قطب	65
أبو بكر ابن العربيّ	70
إسماعيل بن كثير	73

فهرس القوافي الشعرية

طرف البيت	رقم الصفحة
إنَّ دَهْراً يَلُفُّ شَمْلي بِجُمْل	41
قالتْ هُرَيْرَةُ لما جئتُ زائرَها	17
نفسي بشيء من الدّنيا معلّقة	21

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر الدمياطي ،تحقيق: أنس مهرة، نشر: دار الكتب العلمية – لبنان ، ط:3 ،(2006م – 1427هـ)

2-أحكام القرآن لابن العربي،نشر:دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(ط:3 ،2003م/1424هـ)

3- أساس البلاغة،لأبو القاسم محمود الزمخشري ،تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،(ط:1، 1419 هـ - 1998 م)

4- أسباب نزول القرآن لأبو الحسن علي الواحدي،تحقيق: كمال بسيوني زغلول،نشر: دار الكتب العلمية – بيروت،(ط:1- 1411 هـ)

5-أسباب نزول القرآن لأبو الحسن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط:2، 1412 هـ - 1992 م

6- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي،الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ،عام النشر : (1415 هـ - 1995 م).

7-إعراب القرآن الكريم،لأحمد عبيد الدّعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم،نشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق،(ط:1، 1425 هـ)

8- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش ،نشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)،ط:4 ، 1415 هـ

9- الإتقان في علوم القرآن،لجلال الدين السيوطي ،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د-ط)، (1394هـ/ 1974 م)

10-الأربعون النووية للإمام النووي،دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت،(ط: 1، 1430 هـ - 2009م)

11- الأعلام لخير الدين الزركلي الدمشقي ،الناشر: دار العلم للملايين،الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م

12- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الناشر : دار الفكر - بيروت،ط: 2، تحقيق : سمير جابر،(د-ت).
13- البدور الزّاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشّاطبية والدُّرة لعبد الفتاح القاضي،(د-ط)،نشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان،(د-ت)
14-البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط: 1، 1376 هـ - 1957 م ،نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه
15- التبيان في إعراب القرآن ،أبو البقاء عبد الله العكبري ،المحقق : علي محمد البجاوي،(د-ط)، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه،(د-ت)
16- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، (د-ط)،نشر : الدار التونسية – تونس،(1984م)
17-التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]،لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، 1383 هـ
18- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي ،نشر : دار الفكر المعاصردمشق،(ط2- 1418هـ)
19-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من الأساتذة تحت إشراف الدكتور مصطفى مسلم،نشر جامعة الشارقة،(ط:1 1431هـ/2010م)
20- التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير،نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية،ط:2، 1430هـ - 2009 م
21- التفسير الواضح لحجازي محمد محمود،الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت،(ط: 10 - 1413هـ)
22- التفسير الوسيط للدكتور وهبة الزحيلي،نشر: دار الفكر – دمشق،ط:1 - 1422 هـ.
23-الجامع الصحيح المختصر للبخاري تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت،ط:3 ، 1407 - 1987
24- الجامع لأحكام القرآن ،لأبو عبد الله محمد شمس الدين القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة،(ط:2، 1384هـ - 1964 م)

25- الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود صافي ،نشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت،(ط:4، 1418 هـ).
26- الحجّة في القراءات السبع،للحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآدابجامعة الكويت، نشر:دار الشروق، بيروت،(ط: 4- 1401 هـ).
27- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبو العباس السمين الحلبي ،تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخرّاط،(د-ط)،نشر: دار القلم، دمشق(د-ت).
28- الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الناشر: دار الفكر – بيروت،(د-ط،ت)
29-الزّاهر في معانى كلمات النّاس لأبو بكر الأنباري،تحقيق : د. حاتم صالح الضامن، نشر:مؤسسة الرسالة - بيروت – ط:1،(1412 هـ -1992)
30- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ،(ط:4، 1407 هـ - 1987 م)
31- الصحيح المسند من أسباب النزول مُقْبلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ ،الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، (ط:4، 140هـ- 1987م)
32- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،لأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ،نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط:3 ،(1407 هـ)
33- المبسوط في القراءات العشر، ، أبو بكر أحمد النيسابوريّ، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي(د-ط)،الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق ،عام النشر: 1981 م.
34- المجتبى من مشكل إعراب القرآن لأحمد بن محمد الخرّاط،نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426 هـ..
35-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،نشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،(ط 1- 1422 هـ)
36- المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين، أعضاء ملتقى أهل الحديث ، مصدر الكتاب : ملتقى أهل الحديث:http://www.ahlalhdeeth.com/

37- المفردات في غريب القرآن، لأبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهانى،المحقق: صفوان عدنان الداودي،نشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت،(ط:1 - 1412 هـ)
38- المستدرك على الصحيحين لأبو عبد الله الحاكم ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،(ط:1 ، 1411 هـ- 1990م)
39- الموسوعة الفقهية الكويتية،لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت،طباعته تمت : (من 1404 - 1427 هـ) ،ط:2 ، طبع الوزارة.
40- الموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين، لعبد العزيز بن عثمان التويجزي،نشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت،(ط: 1 - 1420 هـ).
41- الموسوعة القرآنية المتخصصة،لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر،عام النشر: 1423 هـ - 2002 م
42- الناسخ والمنسوخ، لأبو القاسم هبة الله المقري، تحقيق: زهير الشاويش ، محمد كنعان، نشر: المكتب الإسلامي – بيروت،(ط:1- 1404 هـ)
43-النّشر في القراءات العشر لشمس الدّين ابن الجزري،تحقيق: علي محمّد الضبّاع، (د-ط)،نشر: المطبعة التجارية الكبرى: [تصوير دار الكتاب العلمية،بيروت،لبنان]/ ،(د-ت)
44-النكت والعيون، لأبو الحسن علي الماوردي ،تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم،(د-ط) ،نشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان،(د-ت)
45-الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه،لأبو محمد مكي القيسي ،المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي،الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة،ط:1، (1429 هـ - 2008 م)
46- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل الصفدي ، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:1420هـ- 2000م
47-الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبو الحسن علي بن أحمد الواحدي،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد

الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط: 1،(1415 هـ - 1994 م).
48- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي،نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،(ط:1 - 1418 هـ).
49- أوضح التفاسير لمحمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها،(ط:6، 1383 هـ - 1964 م)
50- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر أبو بكر الجزائري،نشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،ط:5، (1424هـ/2003م)
51-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد الفيروزآبادى ،تحقيق: محمد علي النجار،(د-ط)، نشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (1393 هـ - 1973 م)
52-تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد مرتضى الزَّبيدي،تحقيق مجموعة من المحققين،(ت-ط)، النّاشر: دار الهداية،(د-ت).
53-تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، نشر: دار الحديث – القاهرة، (د،ت)، ط:1
54- تفسير القرآن العظيم ،لأبو الفداء بن كثير،تحق يق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع،ط:2،(1420هـ - 1999 م)
55-تفسير القرآن العظيم،لأبو الفداء إسماعيل بن كثير،تحقيق: محمد حسين شمس الدين،نشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، (ط:1 - 1419 هـ).
56- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ،ط: 1، 1365 هـ - 1946 م
57-تفسير عبد الرزاق،لأبو بكر عبد الرزاق اليماني الصنعاني ،الناشر: دار الكتب العلمية،دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،(ط:1، سنة 1419هـ).
58- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقق: عبد الله محمود شحاته،نشر: دار إحياء التراث – بيروت، (ط:1 - 1423 هـ)

59- تَكملَة مُعجم المؤلفين، وَفيات (1397 - 1415 هـ) = (1977 - 1995 م)،لمحمد خير يوسف، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م

60-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ،(د-ط)،الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان،(د-ت)

61- تهذيب اللغة،لمحمد الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط:1، 2001م)

62- حجة القراءات، لعبد الرحمن ، أبو زرعة ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني.

63- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر ، (ط:1- 1422 هـ - 2001 م)

64-روح البيان لإسماعيل حقي الخلوتي ، (د ،ط)، الناشر: دار الفكر –بيروت،(د،ت)

65- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي،تحقيق: علي عبد الباري عطية،نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1- 1415 هـ)

66- زاد المسير في علم التفسير لأبو الفرج عبد الرحمن الجوزي،تحقيق: عبد الرزاق المهدي،نشر: دار الكتاب العربي – بيروت،(ط:1 - 1422 هـ).

67- زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم الأنصاري،(د-ط)،الناشر: دار الجيل، بيروت،(د-ت).

68- طبقات المفسرين العشرين لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السيوطي، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة،ط:1، 1396هـ.

69- طبقات المفسرين،لأحمد بن محمد الأدنوي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط:1، 1417هـ- 1997م

70- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

71- صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ط:1، 1417 هـ - 1997 م

72- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، لمحمود بن حمزة الكرماني،نشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة،(د-ط) مؤسسة علوم القرآن – بيروت، (د-ت).
73- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبو الطيب محمد صديق خان ، اعتنى بالكتاب: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري،(د-ط)، نشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، سنة: 1412 هـ 1992 م
74- فتح القدير لمحمد الشوكاني ،نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت،ط: 1 - 1414 هـ
75- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، لمرعي الكرمي،نشر:دار القرآن الكريم - الكويت ،(د-ط)، (1400هـ)،تحقيق:سامي عطا حسن
76- لسان العرب، لابن منظور الأفريقي المصري،نشر : دار صادر – بيروت،(د،ت)، ط:2
77-محاسن التأويل،لمحمد جمال الدين القاسمي ،المحقق: محمد باسل عيون السود،الناشر: دار الكتب العلميّ - بيروت(ط:1 - 1418 هـ).
78- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبو البركات عبد الله النّسفي ،حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بديوي،النّاشر: دار الكلم الطيب، بيروت،(ط:1، 1419 هـ - 1998 م)
79- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع لجلال الدين السيوطي، مراجعه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر،نشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية،(ط: 1- 1426 هـ)
80- مشكل إعراب القرآن،لأبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ،تحقيق: د. حاتم صالح الضامن،نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،(ط:2، 1405هـ).
81- معالم التنزيل في تفسير القرآن أبو محمد الحسين البغوي،تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش،نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع،(ط: 4، 1417 هـ - 1997م).
82- معاني القراءات لمحمد الأزهري الهروي ،نشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود بالسعودية، ط:1، 1412(هـ - 1991 م)

83-معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»،لعادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م
84- المغرب في ترتيب المعرب،لأبو الفتح ناصر الدين المطرز، الناشر : مكتبة أسامة بن زيد – حلب، ط:1، 1979م
85- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبو عبد الله محمد الرّازي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،(ط:3 - 1420 هـ)
86- مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية لعبد الحميد الفراهي الهندي ،تحقيق: د/ محمد أجمل أيوب الإصلاحي،نشر: دار الغرب الإسلامي،(ط:1، 2002 م)
87- موسوعة الأعلام ،لموقع وزارة الأوقاف المصرية:
http://www.islamic-council.com
88-نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور ،لإبراهيم بن أبي بكر البقاعي ،نشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،(د-ط)
89- نواسخ القرآن، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية،(ط: 2- 1423هـ/2003م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان الإهداء ملخص البحث باللغة العربية ملخص البحث باللغة الإنجليزية	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي:الدراسة العامّة لسورة الجاثية	1
المبحث الأول:التعريف بالسّورة (اسمها–عدد آياتها –ترتيبها)	1
المطلب الأول:اسم السّورة	1
المطلب الثاني:عدد آياتها	2
المطلب الثالث: ترتيبها في المصحف	3
المبحث الثاني: زمان ومكان نزول سورة الجاثية	3
المبحث الثالث:أنواع المناسبات في سورة الجاثية.	4
المطلب الأول: مناسبة سورة الجاثية لما قبلها	4
المطلب الثاني: مناسبة السّورة لما بعدها	4
المطلب الثالث: مناسبة بداية السّورة بخاتمتها	5
المبحث الرابع:الأغراض العامّة لسورة الجاثية ومقاصدها	5
المبحث الخامس:عرض عام للسّورة	6
المبحث السادس: ذِكر ما ادُّعي عليه النّسخ في سورة الجاثية	7
الفصل الأول:الدّراسة التحليلية لسورة الجاثية	10
المبحث الأول:تحليل الآيات من الآية 01 إلى06	10
المطلب الأول:معاني المفردات	11
المطلب الثاني:المناسبة بين الآيات	12
المطلب الثالث :الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات	13

الفرع الأول: الجوانب النّحوية	13
الفرع الثاني: الجوانب البلاغية	14
الفرع الثالث:القراءات	14
المطلب الرابع:الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات	15
الفرع الأول: الشرح التفصيلي	15
الفرع الثاني:مايستفاد من الآيات	16
المبحث الثاني:تحليل الآيات من الآية 07إلى 11	17
المطلب الأول:معاني المفردات	17
المطلب الثاني:المناسبة بين الآيات	18
المطلب الثالث : الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات	18
الفرع الأول: الجوانب النّحوية	18
الفرع الثاني:الجوانب البلاغية	19
الفرع الثالث:القراءات	20
المطلب الرابع:الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات	20
الفرع الأول:الشرح التفصيلي	20
الفرع الثاني:ما يستفاد من الآيات	22
المبحث الثالث:تحليل الآيات من الآية 12 إلى 15	23
المطلب الأول:معاني المفردات	23
المطلب الثاني:سبب النزول الوارد في المقطع	24
المطلب الثالث :المناسبة بين الآيات	25
المطلب الرّابع: الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات	26
الفرع الأول: الجوانب النّحوية	26
الفرع الثاني:الجوانب البلاغية	27
الفرع الثالث:القراءات	28
المطلب الخامس: الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات	28
الفرع الأول:الشرح التفصيلي	28
الفرع الثاني:ما يستفاد من الآيات	29

المبحث الرابع:تحليل الآيات من الآية 16 إلى 22	30
المطلب الأول:معاني المفردات	30
المطلب الثاني:المناسبة بين الآيات	32
المطلب الثالث :الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات	34
الفرع الأول: الجوانب النّحوية	34
الفرع الثاني: الجوانب البلاغية	34
الفرع الثالث:القراءات	35
المطلب الرابع:الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات	36
الفرع الأول:الشرح التفصيلي	36
الفرع الثاني:مايستفاد من الآيات	38
المبحث الخامس:تحليل الآيات من الآية 23 إلى29	39
المطلب الأول: سبب النّزول الوارد في المقطع	39
المطلب الثاني:معاني المفردات	41
المطلب الثالث:المناسبة بين الآيات	42
المطلب الرابع :الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات	43
الفرع الأول: الجوانب النّحوية	43
الفرع الثاني:الجوانب البلاغية	44
الفرع الثالث:القراءات	45
المطلب الخامس:الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات	45
الفرع الأول: الشرح التفصيلي	45
الفرع الثاني:مايستفاد من الآيات	46
المبحث السادس:تحليل الآيات من الآية 30 إلى37	48
المطلب الأول:معاني المفردات	48
المطلب الثاني:المناسبة بين الآيات	49
المطلب الرابع :الجوانب النّحوية والبلاغية والقراءات	50
الفرع الأول: الجوانب النّحوية	50
الفرع الثاني :الجوانب البلاغية	51

الفرع الثالث:القراءات	51
المطلب الخامس:الشرح التفصيلي وما يستفاد من الآيات	52
الفرع الأول: الشرح التفصيلي	52
الفرع الثاني:ما يستفاد من الآيات	53
الفصل الثاني: الدّراسة الموضوعية لسورة الجاثية	54
المبحث الأول: الوحدة الموضوعية لسورة الجاثية	54
المطلب الأول:المحور التي تدور حوله سورة الجاثية	54
المطلب الثاني:مقاطع السّورة وارتباطها بالمحور الأساسي لها	55
المبحث الثاني: دراسة مقاطع السورة موضوعياً	57
المطلب الأول: من آيات الله الدّالة عليه "من الآية 01 إلى 06"	57
الفرع الأول:المعنى الإجمالي	58
الفرع الثاني:ربط المقطع بمحور السّورة	57
الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة	58
الفرع الرّابع:الإسقاط على الواقع	60
المطلب الثاني: جزّاء المكذبين بآيات الله "من الآية 07إلى 11"	61
الفرع الأول: ربط المقطع بمحور السّورة	61
الفرع الثاني:المناسبة بين المقطع وماقبله	61
الفرع الثالث:المعنى الإجمالي	62
الفرع الرابع: الهدايات المستنبطة	63
الفرع الخامس:الإسقاط على الواقع	63
المطلب الثالث: التذكير بنعم الله على عباده من الآية 12 إلى15	63
الفرع الأول: ربط المقطع بمحور السّورة	64
الفرع الثاني:المناسبة بين المقطع وماقبله	64
الفرع الثالث:المعنى الإجمالي	64
الفرع الرابع: الهدايات المستنبطة	66
الفرع الخامس: الإسقاط على الواقع	67
المطلب الرابع:نعمه الخاصّة ببني إسرائيل وإنزال الشّرائع من الآية 16 إلى 22	67

الفرع الأول: ربط المقطع بمحور السّورة	67
الفرع الثاني:المناسبة بين المقطع وماقبله	68
الفرع الثالث:المعنى الإجمالي	68
الفرع الرابع: الهدايات المستنبطة	70
الفرع الخامس:الإسقاط على الواقع	71
المطلب الخامس: الوثنية وإنكار البعث بعد الموت من الآية 23 إلى 29	72
الفرع الأول: ربط المقطع بمحور السّورة	72
الفرع الثاني:المناسبة بين المقطع وما قبله	72
الفرع الثالث:المعنى الإجمالي	73
الفرع الرابع: الهدايات المستنبطة	74
الفرع الخامس:الإسقاط على الواقع	75
المطلب السادس: أحوال المؤمنين والكافرين في الآخرة من الآية 30 إلى 37	75
الفرع الأول: ربط المقطع بمحور السّورة	76
الفرع الثاني:المناسبة بين المقطع وما قبله	76
الفرع الثالث:المعنى الإجمالي	77
الفرع الرابع: الهدايات المستنبطة	77
الفرع الخامس:الإسقاط على الواقع	78
الخاتمة	79
فهرس الآيات القرآنية	81
فهرس الأحاديث والآثار	86
فهرس الأعلام المترجم لهم	87
فهرس القوافي الشعرية	88
فهرس المصادر والمراجع	89
فهرس الموضوعات	97